مراجعات

ملحــق شهــري تصـدره وزارة الأوقــاف والشــؤون الدينيــة

شوال 1442 هـ - مايو 2021

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين فتنوا بالشرق والعرب بخاصة، الشاعر الأمريكي بيَرْدْ تيلَرْ Bayard Taylor (1825-1878).

وهو شاعر ودبلوماسي وصحفي ورحالة ومترجم أمريكي، ارتحل على نطاق واسع في العالم، وزار العديد من مناطق الشرق، منها مصر وفلسطين، والهند، والصين، واليابان.

وقد ترجمتُ له سابقا قصيدته الشهيرة (أغنية بدوية) التي يقول فيها:

أتيتُ إليكِ من أقصى البَوَادي * لهيبُ الشوقِ يَعرفُه جَوادي

وهي ضمن ديوانه «قصائد الشَرق» الذي نشره سنة ١٨٥٤، وكان متأثرا فيه برحلاته الشرقية وقراءته لكتاب «ألف ليلة وليلة». من بين قصائد هذا الديوان أيضا قصيدة بعنوان (صلاة الأعرابي) وهي لا تخرج عن الثيمات الاستشراقية وتصوير البدو على أنهم أهل حرية وإيمان صادق وشجاعة.

(صلاة الأعرابي)

يَهتفُ: «لا إلهَ إلا اللّه» * مُؤذِّنُ نداهُ ما أحلاهُ
تبعثُه منارةٌ شامخَةٌ * وتَملأُ الوجودَ من صَداهُ
يُردد المؤمنُ مُصْغيا له * يقول: «لا إلهَ إلا اللّه»
يُناشدُ النبيَّ يدعو رَبَّه * بأنْ يُحقّقا له رَجاهُ
ويَرحَلُ النّداءُ في مَسائه * إلى سَماءٍ باركتْ مَرْقاهُ
وتَنظرُ الصحراءُ في نجومها * وقد سَجَى الليلُ فما أسماهُ
أرْكَعُ للّه وأهوِيْ ساجدًا * أمَرِّغُ الجبهةَ في ثَراهُ
أجهرُ في دُعائه مُستسلمًا * وراجيًا بعَطْفه رضاهُ
سُبْحانه لا أنحني لغيره * لا ربَّ ليْ.. لا أحدٌ سواهُ
ما أعظمَ اللّه وما أعدلَهُ * كلُّ بني الغَبْراءِ في حماهُ
هو المُعينُ لا مُجيرَ غيرُه * هذا يَقيني بكَ يا رَبّاهُ
إنّ حُسامي باترٌ وساعدي * يَحْمِلُ عَزْما لا تَنِيْ قُواهُ
وبين جَنبيَّ فؤادٌ ثائرٌ * لا يَقبلُ الضَيْمَ ولا يَنْساهُ
يا ربُّ أمهلني ولوْ لساعة * أوَاهُ مِمّا في دَمي أوَاهُ
كيْ آخُذَ الثّأرَ بها من العِدى * ويَسْلمَ العِزُّ بها والجاهُ
دَعْني أباغت العَدوَّ ضَرْبةً * ليس له إلا الرَّدَى عُقْباهُ
دماؤُهُ ستغسلُ الحُسامَ مِنْ * أدْرانه، فلا وَهَى حَدّاهُ
إذَنْ سأبقى مثْلَ ريح عاصف * أجوبُ في الصحراءِ لا أخشاهُ
وأهتدي بالشمس والنّجْم إلى * أنْ يَهْلكَ العدوُّ أو ألقاه
لا مُلْكُ إستنبولَ أو بَلاطُها * ولا جَواريها ولا الرَّفَاهُ
ولا غِنَى بَغْدادَ أو فِرْدَوْسُها * أحلى من العَراءِ أو مَحْياهُ
عَدالةُ اللّه ستبقى للذي * قَسَى عليه الدّهْرُ أو جَفَاهُ
وطَلَبُ القِصَاصِ حَقٌّ عادلٌ * ما الكبرياءُ والإبا لَوْلاهُ؟

hilalalhajri@hotmail.com

الحياة النفسية للعنصرية...
ليفيو بوني وصوفي مندلسون

كيف يتسرّب البلاستيك إلى غذائنا؟
سيلفيو غريكو

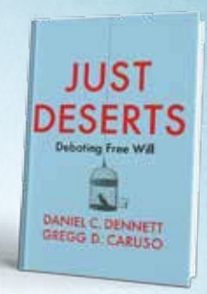

الجزاء المُستحق...
دانييل دينيت وجريج كاروسو

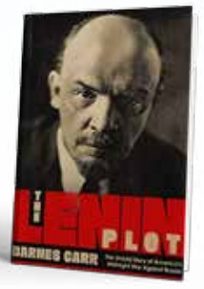

مؤامرة لينين...
بارنز كار

عن دلالة روايات نهاية العصر
إنغو رويتر

عدم اليقين الراديكالي...
جون كاي وميرفين كينج

الصورة والحجة...
مارينا بيرزينس ماكوي

لغة خارج مكانها...
يونتان ماندل

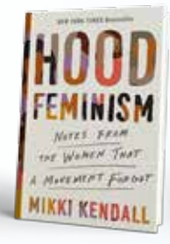

الحركة النسوية...
ميكي كيندال

أوروبا المُسلمة...
سوزانا كاهالان

إصــدارات عــالميــة جـديـدة

صفحة 22 و 23

الجزاء المُستحق
النقاش حول حرية الإرادة
دانييل دينيت وجريج كاروسو

مُحمَّد الشيخ *

يميل الكثيرون إلى الاعتقاد بأنَّ موضوع الإرادة الحرة - أو حرية الإرادة - ومسؤوليتنا عن أفعالنا - أو بلغة قدماء المُتكلمين: التسيير والتخيير- إنما هو موضوع قديم ما عاد موجودا اللهم إلا في المتون الكلامية والفلسفية البالية. ولا كما اعتقدوا. ذلك أن سوق التأليف الفلسفي، فضلاً عن اللاهوتي، نافقة في هذا الموضوع، وما تفتأ الكتب تصدر فيه بالعشرات. على أنه قد تجدد النظر في هذا الموضوع، وما بقي موضوعاً لاهوتياً صرفاً، وإنما بات موضوعا حقوقيا واجتماعيا وسياسيا. وما مكث المعاصرون يجترون فيه حجج الأقدمين، بل تجدد فيه مجال النقاش سواء من حيث الحقل المعرفي الذي أمسى يمده بحججه: علوم المعرفة، علوم الأعصاب، العلوم الاجتماعية ... أو من حيث نحت واشتقاق اصطلاحات جديدة للتعبيرعن أموره؛ بحيث صرنا أمام «النزعة المواءمية» Compatibilism والنزعة المضادة لها Anticompatibilism و«النزعة الحُرَّانية» Libertarianism و«نزعة التشكيك في الإرادة الحرة» Free will skepticism و«النزعة الجبرية أو الحتمية الصلبة» Hard determinism ونقيضتها الرخوة و«نزعة عدم المواءمة الصلبة» Hard incompatibilism وضديدتها و«البخت الصلب» Hard luck ...

وما كان الكتاب الذي بين أيدينا ببدع من هذا. وأولى مزاياه، أنه يلخص ويجدد النقاش في هذا الموضوع القديم/الجديد من حيث طرائق تناوله المُعاصرة. وثاني مزاياه أنه يجمع بين فيلسوفين كبيرين من فلاسفة عصرنا: الفيلسوف الأمريكي الشهير دانييل دينيت (١٩٤٢-) مدير مركز علوم المعرفة وأستاذ الفلسفة بجامعة توفتس، والذي اشتهر بنقده لمفهومي «الذات المفكرة» و«الذاتية»، وهو حاصل على جائزتين مهمتين من الناحية الأكاديمية: جائزة ريتشارد داوكينس (٢٠٠٨) وجائزة إرازموس (٢٠١٢)، وصاحب كتابات شهيرة عن الوعي والذهن. ويعتبر من أشد المدافعين عن الفكرة التواؤمية القائلة بإمكان الملاءمة بين القول بالحتمية والقول بحرية الإرادة. والفيلسوف الأمريكي أيضا جريج كاروسو، أستاذ الفلسفة بجامعة ساني وأستاذ زائر بجامعة ماكواري، صاحب كتاب «استكشاف وهم حرية الإرادة والمسؤولية المعنوية» (٢٠١٣) و«حرية الإرادة والوعي» (٢٠١٧)، ويعد من أشهر المشككين في حرية الإرادة القائلين بأن ما نحن إياه وما نقوم به إنما يبقى، في نهاية المطاف، رهن عوامل تنفلت من تحكمنا، ومن هذه الجهة لسنا مسؤولين معنويا وأخلاقيا أبدا عن أفعالنا بالمعنى الجزائي الخالص؛ أي بمعنى أن نستحق عنها الثواب أو العقاب. وثالث مزايا الكتاب أنه يجمع بين الوضوح وسهولة التناول، من جهة، و بين العمق والدقة، من جهة ثانية. ومن ثمة، فإنه يمكن أن يُعَدَّ هذا الكتاب، بما تضمنه من أحاديث شيقة وقوية عن حرية الإرادة والمسؤولية والجزاء، من أفضل المداخل إلى الموضوع ومن أشملها تعريفا بمختلف المواقف الجدلية من حرية الإرادة ومترتباتها وعوالقها وتوابعها. وغير خاف ما لمشكلة الإرادة الحرة من آثار واقعية على الأقل على أمور ثلاثة: على فهمنا لذواتنا، وعلى علاقتنا بأغيارنا، وعلى الممارسات القانونية والخلقية. ودعوى أننا نملك إرادة حرة تختفي خلف تسويغ الكثير من مواقفنا وأحكامنا اليومية. إذ نعتبر أنه عندما يتصرف الناس بوفق إرادتهم الحرة يستحقون أن يُمدحوا أو يُلاموا، وأن يُثابوا أو يُعاقبوا عن أفعالهم بما أنهم مسؤولون معنويا . أخلاقيا . عما أتوه. والقانون الجنائي قائم على هذه الدعوى. لكن، هل حقا توجد إرادة حرة؟ وماذا لو ما كان أحد أبدا حرا ومسؤولا عن أفعاله المسؤولية المعنوية الأخلاقية؟ وما الذي سوف يعنيه هذا بالقياس إلى المجتمع والأخلاق والمعنى والقانون؟ وهل يمكن للمجتمع أن يشتغل بلا إيمان بالإرادة الحرة؟ ورابع مزايا الكتاب أنه ما كان موجها لأهل الفلسفة خصيصا، وإنما هو، بحكم أن موضوعه شأن يومي، يهم المتخصص . عالم النفس، عالم الاجتماع، عالم المعرفة، رجل القانون ... . وغير المتخصص من المهتمين بمواضيع الإرادة والحرية والمسؤولية والجزاء ... وخامس مزايا الكتاب أنه قد يقنع القارئ بأن من شأن الفلسفة ألا تمارس وفق صيغة المفرد. الفيلسوف المعتكف المتوحد. وإنما بصيغة المشاطرة والمشاركة مع شريك مكافئ مناقض.

حكاية الكتاب

في البدء كان اللقاء الأول بين الفيلسوفين في شهر مايو من عام ٢٠١٨ ببيروت، حيث التقى الاثنان وأمضيا أمسية أنس تبادلا فيها وجهات نظرهما في أمر الإرادة الحرة، وذلك على هامش مؤتمر دولي في علم النفس الأخلاقي استضافته الجامعة الأمريكية. وقد تواصل الاتصال بين الرجلين بعد هذا المؤتمر، وقررا معا إخراج خلافهما إلى جمهور القراء في صورة محادثة أو مناظرة، أثمرت عن منشور في مجلة إيون في ٧ أكتوبر ٢٠١٨ تحت عنوان: «الجزاء المستحق: هل يمكن أن نتحمل المسؤولية المعنوية عن أفعالنا؟» وكان جواب دانييل دينيت : أجل، وكان جواب جريج كاروسو: لا. ثم ما لبث أن اتصل بهما ناشر دار «بولتي بوكس» ملتمسا منهما مواصلة محادثتهما وتوسيعها إلى كتاب. وهو ما وافق عليه المؤلفان خصوصا وأنهما . كما يشهدان على ذلك في تقديم كتابهما . يكنان الاحترام المتبادل إلى بعضهما البعض، ويعتقدان أنه سوف تكون ذات فائدة عظمى مواصلة المحادثة بينهما. وكانت الثمرة هذا الكتاب.

بنية الكتاب

يتكون هذا الكتاب من كلمة افتتاحية كتبها الفيلسوف الهولندي ديريك بيريبوم (١٩٥٧-)، وهو أحد الفلاسفة الهولنديين المتخصصين في موضوع حرية الإرادة والمسؤولية المعنوية وفلسفة الذهن وفلسفة الدين، وصاحب كتاب: «العيش بلا إرادة حرة» (٢٠٠١)، يعقبه تقديم للمؤلفين عن ظروف تأليف الكتاب؛ فمدخل تعريفي بفلسفة حرية الإرادة ومذاهبها المعاصرة كتبه جريج كاروسو. وتجري المحادثة بين الفيلسوفين في ثلاث جولات: تدور الجولة الأولى على حرية الإرادة والمسؤولية المعنوية أو الأخلاقية، وقد تعلق النقاش فيها بمسألة الجبرية أو الحتمية. وتنصب الجولة الثانية كلها على فحص الحجج والحجج المضادة: الحجج على التشكيك في الإرادة الحرة، والحجج على التوجيه والتلاعب بالإرادة، والحجج على عاذرة أو ماحلة الجبرية، والحجج على مسألة البخت. وتتعلق الجولة الثالثة بتطبيقات عملية لهذه المواقف في شأن الصحة العمومية والعقاب والجزاء ... وفي خاتمة الكتاب يوجد مسرد بالمصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، وكشاف بالاصطلاحات والأعلام.

نظريات الإرادة الحرة

يمكن تقسيم نظريات حرية الإرادة إلى فئتين: فئة نظريات أولئك الذين يؤمنون بدعوى أنَّ الكائنات البشرية تمتلك

إرادة حرة، وفئة أولئك الذين يشككون في ذلك. فأما الأوائل، فيشملون «التصور الحُـرَّاني» و«التصور المُلائمي» للإرادة الحرة، وكلاهما يدافع عن دعوى أن لنا إرادة حرة، لكنهما يختلفان في طبيعتها وحيثياتها. والثواني إما يرتابون في أمر الإرادة الحرة أو ينكرونها. ويقر الحرانيون بأنه لئن هي كانت الحتمية .التي تعني أن اللاحق رهين بالسابق ومفعول له . حقا، وكانت أفعالنا تحددها ظروف سابقة، فإن من شأن ذلك أن يعني أننا نعدم الإرادة الحرة والمسؤولية المعنوية. ومن تم، يرفضون الحتمية لما تؤدي إليه من إنكار الحرية والمسؤولية، ويؤمنون باللاحتمية أملا في إنقاذ ما يعتبرونه شروطا ضرورية للإرادة الحرة؛ وهي مقدرة المرء على التصرف على نحو مغاير في الظروف عينها، بحيث تكون الإرادة الفاعل النهائي في الفعل. أما أصحاب التصور الملائمي، فيدافعون عن الإرادة الحرة وعن الحتمية معاً، عن طريق إيمانهم بإمكان إحداث ملاءمة بينهما. وهم يؤمنون بأنَّ ما هو أهم، ما كان غياب علة لأفعالنا، وإنما هو أن أفعالنا حرة بمعزل عن كل قسر أو إكراه. ومقابل أنصار الإرادة الحرة والمسؤولية المعنوية، ثمة المتشككة أو النكارية. وفي القديم وجد أصحاب الجبرية الصلبة القائلون بأن الحتمية حق، وأنها لا تقبل أن تواءم مع الإرادة الحرة إما لأنها تمنع من التصرف على نحو مغاير أو أن نكون نحن مصدر الفعل. وأيا كان الأمر، فلا إرادة حرة ثمة. وأما الشكاك الجدد، فقد باتوا يؤمنون بأنه كما أن القول بالحتمية لا يتواءم مع القول بالإرادة الحرة وبالمسؤولية الأخلاقية، فإن القول باللاحتمية . كما تشهد عليه فيزياء الكوانطا . يؤدي إلى النتيجة عينها. وذلك لأنه بصرف النظر عن بنية الكون العلّية، فإننا نفتقد إلى الإرادة الحرة والمسؤولية الأخلاقية بما أن القول بالإرادة الحرة لا يتواءم مع الحضور الدائم للبخت. وما يتفق عليه أصحاب الحتمية الصلبة من الأقدمين وأصحاب البخت من المحدثين هو الاعتقاد بأن خياراتنا وأفعالنا وسماتنا إنما هي، في نهاية المطاف، ثمرة عوامل تتمنع عن تحكمنا فيها . أكانت جبرا أم بختا . وبسبب ذلك نعدم ذاك الضرب من الإرادة الحرة التي يقتضيها الفاعلون المسؤولون معنويا وخلقيا.

موقفان متعارضان

مدار الخلاف في هذا الكتاب على أسئلة من قبيل: ما الذي يعنيه أن نختار وأن نستحق، بالتالي، الإطراء على اختياراتنا أو التثريب؟ وهل يمكن أن نفعل الفعل الصائب بمحض إرادتنا؟ وهل الإرادة الحرة شيء موجود أم لا؟ وما أثر الجواب عن هذا السؤال، إن كان سلبا أو إيجابا، على الجزاء والثواب والعقاب والجريمة والقانون؟ في هذا الكتاب نعثر بالأساس على وجهتي نظر لا فحسب متباينتين، بل متعارضتان. وبما أن الحوار بين الفلاسفة، كما يقول هايدجر، حوار أوداء وأخلاء وأحباء، فإن الكتاب عبارة عن حوار ودي وعميق في الوقت ذاته بين «أستاذين عظيمين» و«فيلسوفين نبيهين» متمكنين من «فنهما» أيما تمكن: مدافع عن النزعة الملائمية في شأن الحرية والمسؤولية والحتمية (دينيت)، ومنافح شديد عن النزعة المعادية للنزعة الملائمية يتشكك في حرية الإرادة (كاروسو) .

يدافع كاروسو باستماتة على الموقف القائل بعدم إمكان الملاءمة بين القول بحرية الإرادة . التخيير . والقول بالحتمية . الجبر.

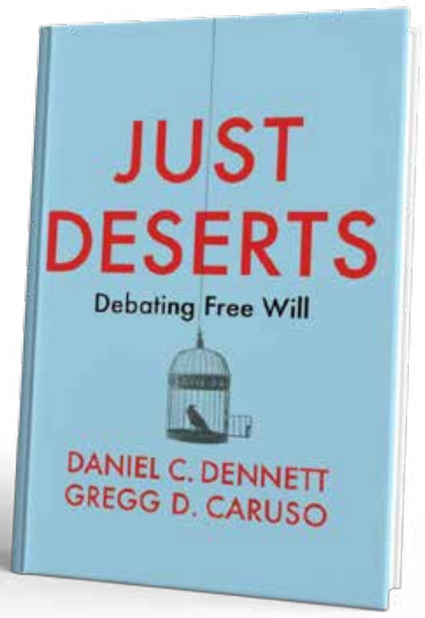

ويمكن بسط مجمل موقفه على النحو التالي: لَئِنْ هي كانت الحتمية أمرا حقا، فإن هذا يعني أن ثمة عوامل تحدد سلوكنا تنفلت من سيطرتنا وتحكُّمنا؛ وهي عوامل تعود إلى الماضي الذي ولى ولا تحكُّم لنا فيه وإلى قوانين الطبيعة التي تَحْكُمُنا، وهما معا ما يحددان كل أفعالنا؛ ومن شأن الإقرار بهذا أن يؤدي إلى استبعاد أن تكون لنا إرادة حرة. أما دانييل دينيت، فبالضد من هذا يؤكد على فكرة إمكان المواءمة بين حرية الإرادة والحتمية، ويدعي أننا نملك إرادة حرة. وبهذا يقع الفيلسوفان على طرفي نقيض في الانقسام التقليدي الموروث بين القائلين بالاضطرار والقائلين بالاختيار: الملائميون الذين يثبتون حرية الإرادة دون أن ينفوا الحتميات، وغير الملائميين الذين يشككون في إمكان الجمع بينهما. هو ذا الانقسام الجوهري، لكن له عوالق وتوابع. منها؛ كيف ينبغي أن نعرِّف«حرية الإرادة»، وهو موضوع خلاف بين الفيلسوفين. إذ معروف عن دينيت أنه يدعونا إلى ضرورة استعمال مفهوم «الإرادة الحرة» بحيث نحيل على ضرب من الإرادة ذات القيمة الكبرى في حياة الإنسان؛ وذلك بمعنى أننا معشر البشر لنا مقدرة عظيمة على الاستجابة العاقلة إلى مثير في محيطنا الطبيعي والاجتماعي، وهي مقدرة تطورت في نوعنا البشري عبر تطوره التاريخي، ونضجت في الأفراد عندما يضحون راشدين. بينما يعرّف كاروسو الإرادة الحرة . جدلا، حتى وإن كان يشكك فيها فعلا . بحسبانها التحكم في الفعل. وهو التحكم الذي يقتضي ضربا من المسؤولية المعنوية والأخلاقية. وإنها لمقدرة خاصة بالفاعلين بفضلها يمكنهم أن يستحقوا الجزاء، بأن يُلاموا أو يُكافأوا، وأن يعاقبوا أو يثابوا. وما كان ذلك بسبب الثمرة التي يثمرها فعلهم، وإنما لأن الفعل ينبغي أن يذم أو يمدح لذاته لا لأثره أو عاقبته. هو ذا الأمر المطلوب أصلا وتأسيسا في عزو الجزاء ثوابا وعقابا. ففي أساس الجزاء تقوم فكرة أن من شأن تصرف قبيح أن يستحق أن يُلام عليه، ولربما أن يُعاقب عليه، لا لأثره وإنما لطبيعته، ومن شأن تصرف حسن أن يلقى الجزاء الحسن ولربما الثواب في ذاته لا لأثره. فمن أمر الجزاء هنا أن يكون «بالأساس» وليس «بالأثر»؛ أي يخص الفعل نفسه وليس عاقبته. ومن ثمة شأن الفعل أن يجازى عنه في ذاته، كما تدعي النزعة الواجبية، لا كما تدعي النزعة العاقبية أن يجازى عنه لعاقبته، ولا كما تدعي النزعة التعاقدية أن يجازى عنه لأنه يحترم مواضعات المجتمع أو يخرقها .

وتتباين آراء الفيلسوفين في شأن استحقاق الفعل جزاء بالأساس من غير نظر إلى عاقبة أو عقد. ولتوضيح موقفه يدعونا كاروسو جدليا إلى القيام بتجربة ذهنية يستوحيها من كانط وتفيد أنه لا ثمار إيجابية تتحصل من معاقبة متصرف تصرف تصرفا خاطئا: هب أن شخصا يعيش في جزيرة معزولة قد يقتل شر قتلة كل شخص آخر يوجد على هذه الجزيرة، وبحيث لا يجدي معه أي سعي إلى إصلاح خلقه، وذلك لكراهية وفورة متأصلة فيه بالفطرة؛ أضف إلى ذلك أنه لا يمكنه أن يفر من تلك الجزيرة ولا أحد يمكنه أن يزوره فيها لأنها نائية جدا، وليس يوجد مجتمع على الجزيرة يمكن لقواعده أن تحدد وفق عقد اجتماعي يتغيا نتائج طيبة، بما أن المجتمع قد انحل. ترى، هل يبقى لنا حدس بأن هذا القاتل، والحال هذه، لا يزال يستحق أن يجازى؟ إن كان هذا هو الحال، فإن العقاب سوف يكون مستحقا بالأساس إذا كان المثال المقدم قد أعدم بالفعل خيارات الجزاء غير الأساسية . العاقبية أو التعاقدية . كما يبدو أنه فعلا قد أفلح في فعل ذلك. لكن يتساءل دينيت: هل نرغب في أن نعرّف «الإرادة الحرة» بحيث أن كل شخص يرفض الجزاء الأصلي يعتبر ناكرا للإرادة الحرة، أو بحيث أن كل شخص ينكر أن نكون نتحكم في الفعل المقتضي لعزو الثواب والعقاب بالأساس يُعَدُّ ناكرا للإرادة الحرة؟ لربما تبقى ثمة بقية كافية من الدور الذي تلعبه «الإرادة الحرة» في فكرنا وممارستنا بعد رفض الجزاء الأصلي والتحكم في الفعل الذي يقتضيه. والأمر أشبه شيء يكون عنده بلعبة كرة القدم التي يعاقب فيها مرتكب الخطأ حتى تسير اللعبة السير الحسن في ما يستقبل وليس في الأصل، فكذلك أمر تسويغ العقاب على السلوك الإجرامي على أساس ما يؤدي إليه من الإثناء عن الفعل، بناء على استباق عاقبة السلامة الإيجابية. ويدعونا دينيت إلى تأمل كيف أن المحامين والقضاة لا يعتبرون في أي جرم اللهم إلا الدواعي التي حضت على ارتكابه، هذا بينما ممارستهم في الواقع مبرَّرة بدواعي موجهة نحو المستقبل (حماية المجتمع من تكرار المجرم جريرته) لا يأتون على ذكرها أبدا. بناء على هذا الاعتبار الخفي، من المنطقي أن يعتبر المحامون والقضاة الجزاء مستحقاً.

· الكتاب: الجزاء المستحق
النقاش حول حرية الإرادة
· المؤلف: دانييل دينيت وجريج كاروسو
· دار النشر : بولتي برس
· سنة النشر : 2021

*** أكاديمي مغربي**

كيف يتسرّب البلاستيك إلى غذائنا؟

سيلفيو غريكو

عزالدين عناية *

يُقدّمُ هذا الكتاب إسهاماً في غاية الإفادة بشأن حضور البلاستيك في عالمنا. فهو يُعرض تاريخ اللّدائن وتكوينها، ثم يستعرض تسرّبها إلى البحار والمياه ومن ثَمَّ إلى الإنسان، ليصل بنا إلى الإشكاليات المتعلّقة بمعالجة البلاستيك والتخلّص منه. والكتاب هو من تأليف الخبير الإيطالي في الأحياء البحرية، سيلفيو غريكو، الأستاذ في علوم التغذية، وقد صدرت له العديد من المؤلفات حول الحياة البحرية والبيئة.

كيف وزّع الكاتب بحثه؟ في القسم الأول، نجد بسطة تاريخية عن البلاستيك؛ وفي القسم الثاني يتناول الكاتب البلاستيك والبيئة البحرية؛ وفي القسم الثالث: الطرق التي يصل بها البلاستيك إلى الغذاء البشري؛ وفي القسم الأخير: عرَضَ جملة من الحلول.

بسطة تاريخية

يعود الظهور الأوّلُ لهذه المواد الاصطناعية، التي بتنا نطلق عليها البلاستيك، والتي لم تكن موجودة في الطبيعة، إلى أواخر القرن التاسع عشر. فقد ظهرت مادة الباركسين إلى الوجود سنة ١٨٥٦، نسبة إلى العالم الإنجليزي أليكسندر باركس، التي تُعَدّ أوّل نوع من البلاستيك المُخلَّق. وعلى هذا النحو بدأ المسارُ الطويلُ لتصنيع مادّة جديدة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من قبل إذ لم يُكتشف البلاستيك مصادَفةً وإنّما مهّدت لظهوره التاريخي جملةٌ من الظروف المعيشية المتشابكة، وسلسلةٌ من الأحداث.

وكما يبين الكتاب لم يعرف القاموس الصناعيّ هذا المسمّى «البلاستيك» إلّا في عام ١٩٢٥ ليُشير حرفيًّا إلى فئة تجارية لمادّة مُصنّعة ذات أشكال عدّة، جرى تشكيلها خلال طورها البلاستيكي. وللتوضيح يُشير مصطلَح «البلاستيك» في حقيقة الأمر إلى مواد عدّة مثل السليولويد، والبوليسترين، والبولي فينيل، وهي مجموعة من اللّدائن تنتمي إلى عائلة البلاستيك، وهو ما يشبه إلى حدّ ما مساواة الحديد بالفولاذ، وبالنحاس، وبالرّصاص، وتعريف كلّ هذه المعادن كما لو أنّها المعدن نفسه.

ما من شكّ أنّ المواد البلاستيكيّة قد باتت تدخل في شتّى القطاعات، الطبية وغير الطبية، في الأوْراكَ الاصطناعية، ومفاصل الركبة، والأسطوانات المدمَجة، والحواسيب، والأقراص الصلبة المحمولة، وفي سائر الأدوات التي نستخدمها في منازلنا تقريبًا. والسؤال المطروح لماذا يُشكل البلاستيك مشكلة مع أنّنا نتعامل معه؟ من ناحية خاصية البلاستيك فهو يُشبه الأناس إلى حدّ ما؛ لأنّه يبقى في الطبيعة إلى ما لا نهاية. فكلّ البلاستيك الذي أنتجه العالم حتى اليوم لا يزال موجوداً في ركن ما من أركان الأرض. فهو لا يَفْنى بل يتفتّتُ فقط إلى جُزَيئات صغيرة ثابتة. وفي منظور الإنسان الذي عاش في مطلع القرن العشرين، كان مصطلح البلاستيك يُشير فقط إلى العملية الصناعية لإنتاج مادّة يمكن تشكيلُها وتطويعُها. وأما اليوم فيُستخدَم مصطلَح البلاستيك للإشارة بوجْه عامٍّ إلى آلاف الموادّ غير الطبيعية المُصنّعة. ويتعلّق الأمر في الحقيقة بمجموعة واسعة من الموادّ التي يُطلق عليها الفنّيون والمصنّعون أسماءً محدّدةً تُميّز المركّب الكيميائيّ الأساسيّ لها.

يبيّن سيلفيو غريكو أنّ الإنسان لطالما استخدمَ البوليمرات الطبيعية استخدامًا واسعًا في حياته، فقد استطاعَ استعمالَها منذ فجر التاريخ. فالعظام، وقرون الحيوانات، والعاج، والأصداف، والخشب، والألياف النباتية، والأظفار، والمطاط، والحرير، ووَبَر الحيوان هي بوليمرات طبيعية. ورغم وجود البوليمرات الطبيعية إلا أنّ ثمّة مشكلةً تتعلّق بتوافرها. فقد تصبح هذه المواد نادرة، أو موسميّة، أو غير متوفّرة بصورة دائمة، وهي تحتاج إلى عملية معالجَة طويلة أحيانًا. ولذلك ضمن هذا السياق العام شكّل البلاستيك مادة ثورية في تاريخ البشر.

واللافت للاهتمام حقّا أنّ البلاستيك قد اعْتُمدَ في إنتاجه على أحد مشتقّات البترول. فلم تصبح آبار البترول مصدراً كبيراً للثروة إلا بعد اختراع محرّكات الاحتراق الداخليّ في عام ١٨٥٣، قبل ذاك التاريخ كان الذهب الأسود يدخل في استعمالات جدا قليلة.

يبرز الباحثُ أننا بعد أكثر من خمسة مليارات عام تعاقبت فيها ثلاثة عصور، وهيْمنت فيها هيْمنةً تامّة ثلاثُ خامات طبيعية (المعادن والنبات والحيوان)، نشهد حلول العصر الرابع الذي تهيمن فيه خامة اصطناعية جديدة. ولم يكن من قبيل المصادفة أن وَصَف الكيميائيَّ الأمريكيَّ الحاصل على جائزة نوبل في عام ١٩٧٤ بول جون فلوري البلاستيك بأنّه الخامة التي نسيت الطبيعةُ تصنيعها.

البلاستيك وتلويث البيئة البحرية

السؤال الرئيس الذي يطرحه المؤلف وهو كيف يتحوّلُ البلاستيك إلى مزيج من الملوّثات التي تتسلّلُ إلى الكائنات البحرية لتصلَ في نهاية المطاف إلى موائدنا؟

لا يقتصر تأثيرُ النفايات البلاستيكيّة على سطح المياه، فقد تترسَّبُ هذه المخلّفات في القاع ضمن ما يُعرف بالركام البلاستيكي. صحيحٌ أنّ الأكياسَ البلاستيكيّة قد تطفو على السطح، إلّا أنّ أغراضاً أخرى غير قابلة للطفْو تغوصُ وتضيعُ تمامًا. وهناك نفايات أخرى خفيفة الوزن ومنخفضة الكثافة، قد تتكتّلُ أجزاؤها الصغيرة نتيجة لتعلُّق الكائنات الحية الدقيقة بها ممّا يُثقل من كتلتها، ويؤدّي في النهاية إلى أن تَغوص هي أيضاً.

وكما يبيّن الكتاب، دَقَّ تشارلز مور جرسَ الإنذار للعالم، عام ٢٠٠١، بعد اكتشافه أوّل تجمّع بلاستيكيّ في شمال المحيط الهادي، وهي عبارة عن جزيرة عظمى من القمامة البلاستيكية. وتَزن أكبر كتلة حطام عائمة١٨٨ طنًّا، وقد كانت في الماضي جزءا من حوض أحد الموانئ اليابانية، انفصلت عنه بفعل موجات التسونامي عام ٢٠١١.

وقد سَعتْ بعض الدراسات إلى محاوَلة تقدير الكميات الميكروبلاستيكيّة العائمة على سطْح المحيطات وإلى معرفة أحجامها. حيث تَطرح التقديراتُ الكلية أرقاماً تتراوحُ بين ٦,٦٠٠ طنّ و ٣٥,٠٠٠ طنّ من الجُزَيئات التي يقلّ حجمُهَا عن ٥ ملليمترات. وتُشير البيانات إلى أن ٢٣٣,٤٠٠ طنّ على الأقلّ من الأجسام البلاستيكيّة الكبيرة تسبح هائمة في المحيطات مقارنة بـ ٣٥,٥٠٠ طنّ من الجُسَيمات الميكروبلاستيكيّة.

نُشير إلى أنّ الألياف التي تتحرَّرُ من المنسوجات الاصطناعية أثناء عملية الغسيل تُعَدّ أحد المصادر الهامة للجُسَيمات الميكروبلاستيكيّة. فقد ينتج عن دورة غسيل واحدة لقطعة ثياب واحدة من هذه النوعية كميات قد تصل إلى ١٩٠٠ من الألياف الميكروبلاستيكيّة.

والملاحظ أنّ بعض الحيوانات لا تميّز الركام البحريّ، ويلتبسُ عليها الأمر، وتحسَبُهُ طعامًا. وتبعا لذلك تلتهمُ السلاحف الأكياسَ البلاستيكيّةَ ظنّاً منها أنّها قناديل البحر. ولا يقف خطر البلاستيك عند الالتهام، بل إنّ النفايات البلاستيكيّة التائهة في المحيط، بفعل تأثير التيارات البحرية، قد تلعب دورًا مباشرًا في نقل أنواع دخيلة إلى نُظُم بيئية ساحلية جديدة لا يوجد بها أعداء طبيعيون

لها، ممّا قد يؤدّي إلى أضرار بيئيّة محتمَلة.

وللأسف لا توجَد اليوم أية مادة بلاستيكيّة صُمِّمت لتدومَ فترة محدّدة ولتكون سهلة التحلّل في الوقت ذاته. ويكفي أن نذكرَ أنّ الوقتَ اللازم للتحلُّل العضويّ للبلاستيك في الطبيعة قد يتراوَحُ بين بضعة أشهر وألف سنة. ونستطيعُ القولَ إنّ المادةَ البلاستيكيّة قد تحلّلت بشكل كامل حين تتلاشى بنْيتها البوليمرية تماما، أي أن تتحوّل إلى جُزَيئات بسيطة.

ومن هذا الباب تستند المخاوف على مبرّرات حقيقيّة؛ لأنّ ثمة تقديرات بأنّ نصف الإنتاج العالميّ من البلاستيك تفوق كثافته كثافة الماء، ممّا يجعله يغوص في الأعماق. وهناك في القاع قد نعثر بالفعل على الجزء الأكبر من «البلاستيك الغائب» عن التقديرات العالمية للنفايات.

تسرّبُ التلوث من المياه إلى الإنسان

يُبيّن سيلفيو غريكو أنّ خطورة الملوّثات البلاستيكية تعود إلى ثباتها الزمنيّ، وقدرتها على التراكم عضويًّا بداخل الكائنات الحية،والانتقال منها إلى بقية العناصر في الشبكة الغذائية. إذ يمكن لهذه الملوّثات تغييرُ بنْية النُّظم البيئية ووظائفها، وتغيير العمليات الفسيولوجية للكائنات الحيّة. كما يمكن لهذه الملوّثات أن تتغيَّر وتسبّب الأمراض، وأن تحدَّ من قدرة الكائنات على الهروب من مفترسيها، وأن تؤثّرَ سلبيّاً على نجاح عمليات التكاثر.

هذا وقد تتسرّبُ الجُزَيئات البلاستيكيّة إلى الكائنات الحيّة، عبر الابتلاع أو الاستنشاق، ممّا يؤدّي إلى أن تنتقل إليها كذلك بقايا المواد الكيميائية التي أُضيفت إلى البلاستيك أثناء الإنتاج، وسيكون هذا من البديهيّ إلى الإنسان الذي يتعرّض للتلوّث بهذه الجُزَيئات البلاستيكيّة عبر التغذية والتنفّس. أظهرت الدراسة أنّ الفرد قد يبتلع في المتوسّط حتى خمسة غرامات من البلاستيك أسبوعياً. وقد عزت الدراسة أسباب هذا الأمر إلى الزيادة الكبيرة في استخدام البلاستيك، وفي محدودية عمليات التدوير التي لا تستطيع في الوقت الراهن مواكبة الطلب العالميّ على البلاستيك.

لكن التلوث بالبلاستيك لا يقف عند حدود الكائنات الحية، فقد اكتشف الباحثون أنّ الملحَ يحتوي أيضا على كميات من البلاستيك كانت موجودة بالفعل في المياه التي أُستخلص منها. وبشكل عامّ تحتوي الأملاح المستخرَجة من البحر على نسب أعلى من البلاستيك مقارنة بتلك المستخلَصة من البحيرات أو من الأملاح ذات الأصل الصخري.

ووفقاً لدراسة أكاديمية، يستهلك الإنسان ما بين ٢,٢و ٣ لترات من السوائل يوميّا. فإنْ احتسبنَا ضمن هذه الكمية من السوائل المياه التي نشربها من الصنبور، والمشروبات المعدّة بالمياه كالقهوة والشاي، فقد يصل ما تبتلعه المرأة يوميّا من البلاستيك إلى حوالي١٢ جُزَيئًا، والرجل ١٦ جُزَيئًا.

تَمرّ كلّ الأغذية بمرحلة التعبئة والتغليف قبل وصولها إلى

موائدنا، ويُعتَبر هذا القطاع أهمّ القطاعات التي تعتمِدُ على البلاستيك. فتستهلكُ صناعة التعبئة والتغليف وحدها بين ٣٥ و ٤٠ بالمئة من إنتاج الراتنجات (الصمغ) البلاستيكيّة. ويذهب الجزء الأكبر من هذه الكمية إلى قطاع تعبئة المواد الغذائيّة، ويليه قطاع المشروبات. وكما اتّضحَ يُعتَبر استهلاكُ الأسماك، والمياه المعبّأة أكثر السُّبل شُيوعا لتلوُّث الإنسان بالبلاستيك عبر نظامه الغذائيّ.

ويشير الباحث في كتابه إلى أنّ الأماكن المغلَقة، مثل المنازل والمكاتب، تحتوي على كميات دقيقة من البلاستيك تفوق ما يُوجَد في الأماكن المفتوحة. وتحتوي المناطقُ الحضرية كذلك على كميات أكبر من تلك الموجودة في الضواحي على تخوم المدن. حيث اكتشف العلماء ظاهرة الغبار البلاستيكيّ أيضا.

سُبل الحدّ من زحف البلاستيك

لا تزال الدراسات العلمية منقسمةً حول كيفية مواجَهة مشكلة البلاستيك. فمن جانب ثمّة فريقٌ يُبالغ في عرض المخاطر الناجمة عنها، ومن جانب آخر هناك من يعارض التهويلَ الإعلاميَّ لها. والواقع أنّ أيّ حديث عن إمكانية الاستغناء تماما ودفعة واحدة عن البلاستيك لا يعني في الحقيقة، إلا أنّنا لا نريد أن نواجَه المشكلة مواجَهة جادة. إنّ حياة الجنس البشري على الأرض اليوم تعتمد على مادتيْن اثنتيْن هامتين، وهما الصلب والبلاستيك. ولا يستطيع نظامنا الصناعيّ كما هو الآن أن يستغنيَ عن إحدى هاتين المادتين بشكل كامل دفعة واحدة.

لقد اكتشف العالَم البلاستيك في القرن الماضي سعيًا إلى مواجَهة مشكلة نقْص الموارد الطبيعية، واليوم وقد بلغ سكان العالم حوالي ٨ مليارات نسمة فمن الطبيعيّ أنّ أزمةَ ندرة المواد الخام قد استفحلت. وفي الواقع تكمن المشكلة الحقيقية التي يسبّبها البلاستيك للبيئة في نظام الاستخدام الأحاديّ الذي يُشكّل هدرًا عظيما لهذا المورد القابل للتدوير.

ما من شك أنّ ثمة تغلغلا للمواد الكيميائية في كافة مستويات الشبكة الغذائية البحرية التي نحن جزءٌ أصيل منها. ولن يتسنى لنا الإسهام في دورة التوقّي من آثار البلاستيك إلا إذا تعلّمنا كيف نُعزّز الاستفادة من البلاستيك الذي نتخلّصُ منه، ونتمكنَ من إعادة تدويره تدويراً فعّالاً يَردُّه مرة ثانية إلى السوق كمادة خام ثانوية.

فقد برزت مشكلةُ المخلّفات الفائضة بشكل خاص بعد أن أغلقت الصينُ أبوابَها عام ٢٠١٨ أمام استقبال النفايات الغربية، ولاسيّما تلك المكوَّنَة من البلاستيك. والملاحظ أنّ إمكانيات إعادة التدوير لم تواكب النموّ المتزايد للإنتاج العالمي لمواد البلاستيك. وقد أفادَ تقرير «الصندوق العالمي للطبيعة» في ٨ يونيو لعام ٢٠١٩، أنّ كميةَ البلاستيك التي تُصَبّ في البحر المتوسط سنوياً تبلغ ٥٧٠,٠٠٠ طنّ، وتصل نسبتها إلى ٤,٤ ٪ من نسبة النفايات البلاستيكيّة العالمية، والمقدَّرة بـ ١٣ مليون طنّ، رغم أنّ البحرَ المتوسّط لا يشغل أكثر من ٠,٣٢ ٪من المساحة الإجمالية للمحيطات في العالم. على مستوى عام ثمة تُهَم متبادلة بين المنتج والمستهلك للبلاستيك، أكان على مستوى الدول أو ضمن النطاق المجتمعي، ولعلّ الخروج من المأزق هو في إيجاد صيغة توافقية تُقلّص الأضرار للجميع. فلا ننسى أنّ ملكية معظم مصانع المنتجات البلاستيكيّة تَتْبع شركات البتروكيماويات الكبرى مثل «داو دوبونت» و «إكسون موبيل» و«شال» و «شيفرون» و «بي بي» و«إيني». وتُقدَّرُ قيمة السوق العالمية للبلاستيك في عام ٢٠٢٠ بنحو ٣٨ مليار دولار.

يختتم المؤلف كتابه بما يشبه التحذير أمام هول الإنتاج البلاستيكي، يوضّح أنّ جرعة النفايات التي يجب على المحيطات استيعابها سنويا في كافة أرجاء الأرض تتراوح بين ٨ و ١٣ مليون طن، وهي كمية هائلة تثير القلق حقّا. وأنّ نسبة البلاستيك المعاد تدويره على مستوى العالم محدودة للغاية ولا تزيد عن ١٥٪ .

· الكتاب: كيف يتسرّب البلاستيك إلى غذائنا؟

· تأليف: سيلفيو غريكو.

· الناشر: جونتي (فورانسا) - سلاو فود (ميلانو) «باللغة الإيطالية».

· سنة النشر: 2020.

· عدد الصفحات: 192 صفحة

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الحياة النفسية للعنصرية: إمبراطورية الإنكار

ليفيو بوني وصوفي مندلسون

سعيد بوكرامي *

اليوم، من غير المُمكن تصديق مبررات علم الأحياء أو الأنثروبولوجيا حول أسباب العنصرية وتمثلاتها، كما كان الحال عليه في ذروة الفترات الاستعمارية السوداء، على الرغم من أنَّ قضية العنصرية لم تختف بعد، لأنَّ استمرارها الغامض والمُستفز يستمد حيله وأسبابه من اللاوعي وتأثيرات الأفكار المترسّخة منذ الطفولة وما ينتج عنها من تمثلات وتأويلات ومظاهر اجتماعية.

ينطلق هذا الكتاب الهام للبحث عن آثار العنصرية في الحياة النفسية والاجتماعية الموروثة من تاريخ يعتمد إلى حد كبير على الانقسامات الاستعمارية الكبرى، والذي أصبح تدريجيا مطموسا في عصر ما بعد الاستعمار. وللتنقل الموجه بين هذه المسارات الملتوية والمؤلمة التي طواها بعض النسيان، كان من الضروري الاعتماد على مساهمة أوكتاف مانوني عالم الإثنولوجيا والفلسفة وعلم النفس التي لم تحظ بكثير من الاهتمام. هذا الفيلسوف الذي جاء متأخرًا إلى التحليل النفسي، كان قد ترعرع طيلة ربع قرن في المستعمرات قبل أن يبدأ عملية «إنهاء الاستعمار الذاتي» بالتزامن مع محاولة وصف الجانب اللاواعي للمشهد الاستعماري والمتمثل في قسوته ووحشيته ولكن أيضًا في هشاشته الحميمة، والذي طال امتداده إلى الآثار طويلة الأمد لدى كل من المستعمِرين والمستعمَرين السابقين.

من خلال تحليل هذه الرحلة بأصدائها وانتقاداتها وتكرارها، يستكشف مؤلفا كتاب (الحياة النفسية للعنصرية: إمبراطورية الإنكار ليفيو بوني وصوفي مندلسون) الينابيع اللاواعية للعنصرية انطلاقاً من آليات الإنكار، وبذلك يستجليان تاريخا ثانويا من التحليل النفسي الفرنسي، والذي كانت له علاقة بالمسألة العرقية حتى قبل أن يبرزه فرانز فانون علنًا ويعلنه جاك لاكان قائلا إنه بمجرد انتهاء دورة الاستعمار فإن «العنصرية سيكون لها مستقبل واعد».

وبينما ساد في السنوات الأخيرة تشكيك متواصل في الفعالية السريرية والملاءمة لنظرية التحليل النفسي فإنَّ عمل ليفيو بوني وصوفي ميندلسون يقدم تأملاً ذا قيمة تتساوق مع ما يتطلبه التحليل النفسي في مواجهته للموروثات الاستعمارية. لهذا قام المحللان النفسيان المعروفان، بتطوير تحليل يجمع بين التحليل النفسي والتاريخ والأنثروبولوجيا من أجل مساءلة الفكر العرقي في المجتمعات المعاصرة. وبهذا ينضم المؤلفان إلى الأعمال الحديثة التي، من وجهة نظر التاريخ والفلسفة، لا تشكك فقط في تاريخ العنصرية ولكن ببصمة النموذج العنصري في بناء المجتمعات الحديثة والتأثير على تكوينها النفسي والثقافي وبذلك، فإن القيمة العظيمة لهذا العمل ترجع إلى براعة المعالجة النظرية، التي تعتمد أكثر على الأعمال المبكرة للمحلل النفسي أوكتاف مانوني، وبقدر أقل على قدرته على مساءلة الحقائق السياسية المعاصرة.

في حين يعتبر أوكتاف مانوني اليوم أحد أكثر المحللين النفسيين احترامًا في جيله، فإنَّ كتاباته المبكرة المرتبطة مباشرة بتجربته الاستعمارية، لا تزال مهملة إلى حد كبير في فرنسا. ولد مانوني في لاموت بيوفرون عام ١٨٩٩، ودرس الفلسفة ثم درّسها لبضع سنوات في فرنسا، قبل أن يرحل إلى المارتينيك عام ١٩٢٥، ثم جزيرة لاريونيون عام ١٩٢٩ وأخيراً مدغشقر عام ١٩٣١، حيث مكث إلى غاية عام ١٩٤٧. بينما كان في عام ١٩٤٥ قد شرع في إنجاز أعماله رفقة جاك لاكان، وكانت تجربته الاستعمارية هي الدافع وراء تأملاته التحليلية الأولى. بعد عدة مقالات، نشر أول عمل له في عام ١٩٥٠ بعنوان: «سيكولوجيا الاستعمار»، والذي استكشف فيه الينابيع النفسية لـ «الوضع الاستعماري»، وهي الفكرة التي كان أول من صاغها ثم تناولها بعده آخرون وعلى نطاق واسع. بداية مع عالم الاجتماع جورج بالاندية من خلال ربطه الديالكتيك الهيغلي المكرس لمفهوم السيد والعبد، بالفينومينولوجيا الذاتية والوجودية السارترية. يتصور مانوني الوضع الاستعماري على أنَّه التقاء بين «عقدة النقص» الخاصة بالمستعمر الفرنسي و«عقدة التبعية» الخاصة بالمستعمَرين الملغاشيين. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ عقدة النقص عند المستعمِر لا تشير بأيِّ حال من الأحوال إلى شعور بالنقص، ولكنها تختم الحاجة المنهجية لدرء خطر الدونية عن طريق الاستيلاء على الآخر. أما عقدة التبعية فهي تشير من جانبها إلى «تثبيت العلاقة بالسلف، كنوع من الرابطة الروحية مع الأب الميت، يستحيل معها أي صراع حقيقي» (ص ٥٠)، مما يضع الملغاشيين في حاجة إلى الهيمنة، معتمدا في تحليله على مصطلح « فزارا» كمثال، الذي يشير في الثقافة الملغاشية إلى كل من الجد والأجنبي على حد سواء. يُثْبِتُ مانوني أن قدوم المستعمر قد فاقم من عقدة التبعية هذه. وهكذا، سيحل الفرنسي تدريجياً محل السلف/ والأب الروحي، ليصبح الموضوع المُميز لعقدة التبعية الذي تشكل كردة فعل تجاه القلق من الإخصاء. بالنسبة إلى مانوني، فإن الوضع الاستعماري قائم على التكامل النفسي، حيث يخفي إشباع المصالح السياسية والاقتصادية إشباعًا غريزيًا فقط، والأبعاد الليبيدية للهيمنة تجد نفسها محجوبة بواسطة الهيمنة الموضوعية (الاقتصادية، والطبية، والعسكرية، وغيرها).

قوبل تفكيك مانوني للجدل النفسي الاستعماري بريبة كبيرة من طرف معاصريه، لأنه في نظرهم يسيئ للملغاشيين بوسمهم بعقدة التبعية، لهذا يوجه الكاتب إيمي سيزار اتهاما لاذعا لمانوني بأنه يعيد النظر في أكثر الكليشيهات العنصرية المبتذلة تحت ستار التنظير الفكري. وعلى نفس المنوال، احتج عليون ديوب أيضاً على كتابات مانوني التي يشير فيها إلى أنه إذا كانت مدغشقر مستعمَرة، فهذا خطؤها في النهاية. ثم جاء نقد الطبيب النفسي فرانز فانون ليكمل هذا التلقي الغاضب. في عام ١٩٥٢، وبمناسبة نشر كتاب «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء»، خصص فانون فصلًا لـ«عقدة تبعية المستعمِر المزعومة» واتهم مانوني بجعله عقدة النقص حقيقة موجودة مسبقًا ودافعاً

ملحاً للاستعمار. كان سوء الفهم بينهما كبير. يشدد بوني ومندلسون، مع ذلك، على أنه لا ضرورة لاختزال هذه المناقشات إلى تكريس فكري كاريكاتوري. إن عدم إدراك فرضيات مانوني هو في الواقع إغفال لبعض ما بلوره فانون من أفكار تعتمد وتعترف، علاوة على ذلك بأهمية المنهج المانوني. وأخيرًا، «يبدو الأمر كما لو أنه لم يكن من الممكن تحديد سوء الفهم الكامن وراء الوضع الاستعماري دون أن تتهم نفسك بكونك صاحب سوء الفهم المذكور، والسعي للترويج له «(ص. ٦٣). كان مانوني يشعر بحساسية وجرح إزاء مواجهة سوء الفهم الذي لحق دراساته، لذلك التزم مانوني الصامت طويلا. وانتظر حتى عام ١٩٦٦، حيث نقرأ في خاتمة ملحقة بإعادة إصدار كتابه باللغة الإنجليزية، أنه أعلن إدراكه المتأخر للطبيعة المؤسفة لمفهوم التبعية وشكك في البصمة الإثنوغرافية الكامنة وراء عرضه وبرهنته.

إذا أثار التصنيف الإثنوغرافي الذي اقترحه مانوني أسئلة كثيرة، فإن بوني ومندلسون يُبرزان أنه من خلال التشكيك في الواقع النفسي للمشروع الاستعماري، فإن مانوني هو من أوائل المفكرين الذين اكتشفوا أنه لا يكفي تحطيم العلاقات الموضوعية للهيمنة كي يتبدد التقسيم والميز العنصري الاستعماري. ومن أجل فهم أهمية هذه التخصيصات النفسية المشتركة، قام المؤلفان بدمج كتابات مانوني مع «فكرة ثانوية عن الفرويدية، وهي فكرة Verleugnung» (ص ٢٠)، والتي يمكن ترجمتها بمفهوم «الإنكار»، لأن الإنكار يشكل أنظمة وجودنا ويجعل من الممكن إدامة البصمة الذاتية للعرق فوق معرفة تستمد وجودها الذاتي منذ أكثر من نصف قرن. فلماذا إذن لا نتمسك بمفهوم الإنكار الوحيد، هل يمكن للمرء أن يعترض عليه؟ إنهما يبرهنان على أنه بعيدا عن كونه قابلاً للاختزال في منطق الكبت الذي يشكل جوهر الإنكار، فإن فكرة الإنكار تسمح لنا بالإصرار على تحديد اللاوعي الذي يجمع المعرفة والاعتقاد، ويمكن بالتالي أن نجد لدى الفرد نفسه عدم معرفة بالوجود البيولوجي والجيني والأنساب للعرق لكن دون الإضرار بسلسله من الحدود العرقية الذاتية التي تغذي تصدعات الفضاء الاجتماعي. باختصار، يوضح بوني ومندلسون أن الإنكار هو استجابة جماعية، يمكن تحديدها تاريخيًا، والهدف من عملهما هو تقديم أول خارطة نفسية لعملية تصفية الاستعمار التي لا تزال سائرة المفعول.

ما الفائدة من هذا الإنكار؟ يجعل مانوني من هذا المفهوم آلية ليس للدفاع ولكن للحماية من التمثيل

غير المرغوب فيه الذي من شأنه أن يهدد نزاهة الذات. إذا كانت هذه الغرابة المقلقة لهذا الغموض المفيد المتمثل في العرق قادرًا على الحفاظ عليه، فلأن هذا الإنكار يجعل من الممكن عدم مواجهة شخصية الآخر الذي يهدد سلامة الأنا. يساهم الإنكار في الحفاظ على التمتع بالذات ؛ الأمر الذي دفع بوني ومندلسون ليقولا، بدءًا من مقولة لاكان، أن «العنصرية سيكون لها مستقبل واعد» (ص ٢٠٥). إذا كان هناك مستقبل، فإن إمكانية وجود الذات للمصالحة يتعارض مع أقلمة أساليب التمتع. إذا سمح الاستعمار بترسيخ هذا التمتع لبعض الوقت، فإن لحظة الاستقلال أغرقت هذا التمتع في حالة من عدم الاستقرار لم يسع إلى إصلاحه مرة أخرى. وبذلك يتم تحديث الإنكار العنصري باستمرار، لدرجة صار من الضروري البحث عن جذور العنصرية في مكان آخر غير ما هو معتاد، أي في مفهوم وأسباب كراهية الآخر. و إذا كانت الإيديولوجية العنصرية تسمح باستمرار العنصرية، يبقى الانتماء العرقي قبل كل شيء نتاج عدم القدرة على تصور متعة الآخر كنوع من الاختلاف. وإذا كان الأمر يتعلق بالفعل بالكراهية، فهي كراهية للمتعة،التي يظهر عدم استقرارها في كل مرة يصيبها نمط آخر من المتعة (ص ٢٢٠). وبالتالي، تصبح قضية نزع الهوية فكرة مركزية: وحده الفكر الذي يسبق مسألة العلاقة مع الكينونة سيسمح بإغلاق هذا التقسيم العرقي. في هذا المقام، ينضم المؤلفان إلى فكر إدوارد غليسان والحاجة إلى التخلي عن المرجع الوحيد لصالح التعددية. الطريقة الوحيدة لرفع سلطة الإنكار تكمن في شاعرية العلاقة التي هي في طور التكوين دائمًا. لم يعد الأمر يتعلق بالسعي إلى تراكب وجهات النظر، بل بالموافقة على أفق أوسع، حيث يتشابك وجود أحدهما بالآخر، ويقبل كل طرف أن كل وجود معني بهذه التخصيصات المختلفة والمَيزة و البينية.

في الختام، سنحتفظ باقتراحين رئيسيين من هذا المجلد الأول، أحدهما يوضح التحليل النفسي والفلسفة السياسية، والثاني يتعلق بالقضايا الأخرى المرتبطة بالنوع الاجتماعي. كما لا بد من الإشارة إلى أن قيمة وتفرد الدراسة التشريحية الأولى التي أنجزها مانوني ما تزال مهملة إلى حد كبير في فرنسا.

إن وضع هذه الكتابات الأولى في سياقها العام، وإزاء المثقفين في عصره (فانون،وإيمي سيزير، وديوب، وميمي، وكامو ...)، ولكن بشكل خاص إزاء نفسه، في هذا العالم الاستعماري الذي تطور لما يقرب من ربع قرن، كفيل بأن يبين لنا كل ما يتسم به موقفه الفكري من تعقيد وأصالة؛ إذ نكتشف بعد قراءة متأنية لأطروحاته قوة أفكاره، وجرأتها الكبيرة، لكن بمجرد التخلص من ورنيشها الإثنوغرافي الذي استعصى عليه التخلص منه، في إبانها. يتبنى بوني ومندلسون، المدركان لهذه الصعوبات، موقفًا دقيقًا يسمح لنا بإلقاء نظرة عميقة على هشاشة تحليلاته وعيوبها ومواضيعها وقابليتها للمعالجة المعاصرة بعيدا عن الأفكار المقولبة والإيديولوجيا العمياء. كما يضرب لنا المؤلفان موعدا قريبا مع المجلد الثاني من « الحياة النفسية للاستعمار» لما يكتسبه الموضوع من أهمية كبيرة تاريخية وفكرية قد تضيء عتمة تاريخ وحشي وتنير لحاضر من التعايش والتسامح والأمل أصبح الإنسان المعاصر اليوم ومستقبلا في أمس الحاجة إليه.

· الكتاب: الحياة النفسية للعنصرية:إمبراطورية الإنكار: الجزء الأول

· المؤلف: ليفيو بوني وصوفي مندلسون

· الناشر: دار لاديكوفيرت. باريس

· تاريخ النشر: 2021

· عدد الصفحات: ص 270

· اللغة الفرنسية

*** كاتب ومترجم مغربي**

عدم اليقين الراديكالي: اتخاذ القرار وراء الأرقام

جون كاي وميرفين كينج

محمد السالمي *

ماهي نظرتُنا للمُستقبل؟، وهل نستطيع التنبؤ بها؟. تخضع الكثير من الممارسات الاقتصادية، والتمويلية لأدوات نظرية الاحتمالات، والتي تُقدم لنا أمانًا زائفًا حيثُ إنها ليست دائماً على صواب؛ وما نحتاجه بدلاً من ذلك روايات قوية تُعطي الثقة لإدارة عدم اليقين والمخاطر. يأتي كل من جون كاي وميرفين كينج في كتابهما «عدم اليقين الراديكالي» للحديث بإسهاب حول قلقهما من النهج القياسي في علوم الاقتصاد والتخصصات ذات الصلة. تنطوي معظم المواقف في الحياة على نوع أعمق من عدم اليقين، حيث لا تقدم فيه البيانات التاريخية إرشادات مُفيدة للنتائج المُستقبلية. يجادل المؤلفان بأنَّ هذا نهج فقير في اتخاذ القرار، وبصرف النَّظر عن المواقف المُستقرة والمتكررة، فهما يوضحان أنَّ الاحتمالات غير موجودة؛ أو أنها ونتائجها المحتملة غير معروفة؛ مما يُعطي إحساسًا زائفًا بالدقة. ويُشير الكتاب إلى أنه بدلاً من اختراع الأرقام لسد الفجوات في معرفتنا، يجب أن نتبنى استراتيجيات تجارية وسياسية وشخصية تكون قوية للمستقبل ومرنة للأحداث غير المتوقعة، وبالتالي يمكننا احتضان عدم اليقين؛ لأنه مصدر للإبداع والإثارة والربح.

وللتعريف بمؤلفي الكتاب، فجون كاي هو أحد الاقتصاديين البريطانيين البارزين، تتمحور أعماله في الاقتصاد والتمويل. امتدت مسيرته المهنية في العمل الأكاديمي في كلية سانت جون بجامعة أكسفورد، وشغل بعض المناصب الاستشارية. بينما ميرفين كينج، شغل منصب المحافظ السابق لبنك إنجلترا، وامتد شغله للمنصب إلى فترة الأزمة المالية العالمية، ويعمل حالياً في جامعة نيويورك وكلية لندن للاقتصاد. يُعد هذا الكتاب العمل الثاني لهما معاً بعد كتابهما الأول بعنوان «نظام الضرائب البريطاني» في ١٩٧٩م، وبعد أربعين عامًا تضافرت جهودهما مجدداً لإنتاج هذا الكتاب.

كثير منَّا لا يعرف ما الذي سيحدث في المستقبل، أولا يمكننا وصف مجموعة الأشياء التي حدثت في واقعنا المُعاصر. مع حدوث الأزمة المالية في ٢٠٠٧، برزت الحاجة إلى سرد جديد للقوانين والنماذج الاقتصادية، حيث أدرك البشر أنَّهم لا يفهمون بالضرورة عواقب ابتكاراتهم، ولا يملكون المقدرة على التعامل مع المخاطر، وعزز هذا المفهوم جائحة كورونا. عنوان هذا الكتاب ومفهومه المركزي هو عدم اليقين الجذري، والذي يظهر معرفتنا غير المكتملة عن العالم، أو حول العلاقة بين أفعالنا الحالية ونتائجها المستقبلية. تتمثل أهم رسائل الكتاب في أنَّ علم الاقتصاد والأعمال لا تحكمه قوانين علمية ثابتة، بالإضافة إلى كوننا كيانات اجتماعية ونؤطر تفكيرنا في السرد.

يقوم الاقتصاديون ومستشاروهم بتقييم المخاطر بمُساعدة الأدوات الإحصائية المستمدة من الاحتمالات، على أمل أن يسمح القياس الكمي للمخاطر علميًا لهم بإجراء مُقايضات ذكية حول المُستقبل. كتب العديد من الاقتصاديين لأكثر من نصف قرن حول الاختيار العقلاني أو الاختيار الأمثل، أي أن الناس عادة ما يلجأون لتعظيم المنفعة عند اتخاذهم للقرار. بناءً على هذا المُنطلق، يُفترض الاقتصاديون المعاصرون أنه مهما كانت النتيجة التي تتنبأ بها نماذجهم يجب أن تكون عقلانية بشكل بديهي، ولكن الاقتصاد عادة ما يتجاوز الحدود ويفشل البشر في التصرف وفقًا لهذه التوقعات. في سياق الاستثمار على سبيل المثال، يعتمد الكثير من المستثمرين في تنويع المحفظة الاستثمارية على نموذج تقييم الأصول (CAPM)، أو فاما فرينش (Fama - French)، ولكن معظم الافتراضات في بناء النموذج غير واقعية ولا تعكس الواقع، حيث إنَّ أغلب المستثمرين لا يقومون بالتنويع بطريقة مخططة. إلى جانب أنها لا تعكس التقلبات المستقبلية للعائدات، على الرغم من أنها تستند إلى البيانات التاريخية.

المشكلة الرئيسية مع الاقتصاديين والمتخصصين الماليين هي رغبتهم المختزلة في صياغة الألغاز والافتراضات . هل سيفوز فريق من آسيا بكأس العالم، أو كيف سيكون أداء بريطانيا خارج الاتحاد الأوروبي؟، ماذا سيعني تطور الذكاء الاصطناعي للبشرية؟ هذه الأسئلة بالتأكيد مُبهمة. الغد ليس مجرد استقراء اليوم؛ فلو تأملنا في طفرة الإنترنت أو التطور الصناعي خلال القرن الماضي، قد لا يُساعدنا على فهم العواقب الاجتماعية والاقتصادية لانتشار الذكاء الاصطناعي الذي ينتظرنا جميعًا. يستدعي جزءا كبيرا من عملية صنع القرار لدينا روايات مرجعية تتعلق بمن نحن، وكيف نعيش وما يجب أن نفعله. ويُشير الكتاب إلى أهمية السرد المرجعي للحصول على فكرة لرسم توقعات حول المستقبل، وبالتالي يمكن أن يكون السرد المصمم جيدًا مفيدًا في اتخاذ القرارات لحد بعيد.

تناول الكتاب أيضاً النمذجة الإحصائية و التي تُستخدم لدى شركات الاستثمار و التمويل كأداة للتقييم، وغالبًا ما يعرف أولئك الذين يتحكمون في هذه النماذج بالضبط ما يريد المستفيدون سماعه. وقد أشارت شركة RiskMetrics الاستشارية إلى أن بعض المصرفيين يريدون نموذج الانحدار التلقائي المتجه (VAR)، لتبرير مستوى أعلى من كفاية رأس المال، لم تكن هذه سياسة قائمة على الأدلة ، ولكن تم إنتاج النمذجة لتبرير الهدف المنشود لواضعي النماذج. و يمكن القول إذا لم نفهم المخاطر، فنحن ببساطة نحاول تجنبها. ولذكر نصيحة الملياردير وارن بافيت، أن الابتعاد

عن المقامرة أو الصفقة التي لا نفهمها هو الخيار الأكثر حكمة. لقد منحتنا قُدراتنا العقلية المتطورة ميزة نسبية في البقاء على قيد الحياة و مواجهة التغيرات، و التكيف مع مستجدات العالم الكبير. لذا فإن أي استنتاج إحصائي يدعي الحقيقة هو دائمًا فرضية مُشتركة تعتمد على صحة النموذج، وكفاية تقديرات معامله. ولكن، كيف يمكننا أن نبني نموذجًا إحصائيًا يمكن الاعتماد عليه في الاستدلال؟. في كثير من الأحيان، بصفتنا باحثين في الاقتصاد أو في المالية، نشبه السباك الذي يُريد حل الأمور حسب صندوق الأدوات الذي نملكه. في المقابل هناك مهن جادة مثل الطب والهندسة يحسنون اختيار الأداة لحل المشكلة؛ بدلاً من السعي إلى إعادة صياغة المشكلة لتلائم صندوق الأدوات المتاح. ويُشير المؤلفون إلى أن ما يحتاجه الاقتصاديون إلى صندوق أدوات يستطيع التكيف مع المتغيرات ويكون أكثر ثراءً في الاستدلال عند اتخاذ القرار.

كثير من القرارات التي نتخذها تكون عبر حواسنا الغريزية وذلك وفق سياق الأحداث و العوامل الخارجية. على سبيل المثال، قرار العمل، أو فتح مشروع، أو تنظيم الأسرة قد تختلف بشكل كبير عما كنا مخططين له، يعنى هناك فجوة بين القرار الفعلي المتخذ، و القرار المنطقي الذي يجب اتخاذه. ويُشير الكتاب إلى أنه يمكن للسياق أن يُشكل الإدراك، ويضرب مثالاً على المحامي حيث يستخدم السرد كوسيلة تنظيمية لفهم الأحداث. ومن المفارقة، أن علماء الاقتصاد يصرون غالبًا على أن الاستنتاج بطريقة عقلانية ومنطقية للأحداث. إذا ظهر رجل ضخم ذو وشم على وجهه في المحكمة، فإننا لا نشجع على تأطيره على أنه سفاح عنيف؛ على الرغم من أنه قد يشترك في بعض الخصائص السطحية للمجرمين، وهذا الفخ الذي يوقعنا عند استخدام النموذج التقليدي السائد. ولكي نفهم الاقتصاد ونكون قادرين على عمل تنبؤات لائقة حول المستقبل، نحتاج إلى دراسة السرد الموجود في رأس قادة الصناعة والتنبؤ بكيفية رد فعلهم على مستجدات الساحة ، سواء كان ذلك تدريجيًا أو نوعًا من الصدمة.

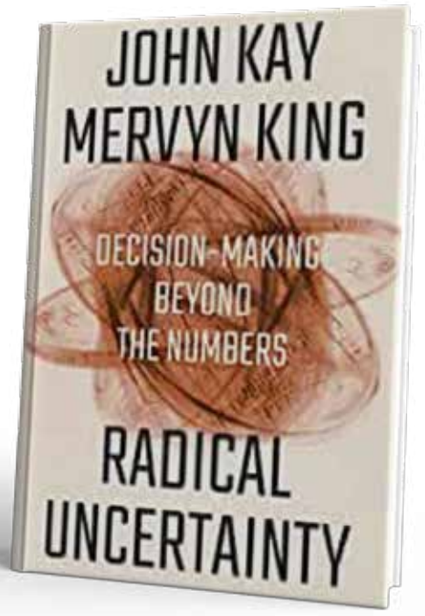

يستفيض الكتاب في سرد كثير من الوقائع، من ضمنها رؤية ستيف جوبز لجعل أجهزة الكمبيوتر لها رونق خاص، لكنه لا يزال بحاجة إلى إقناع العديد من المهندسين والمستثمرين وغيرهم لتنفيذ رؤيته. أدى عدم التوافق إلى مغادرة شركة آبل في عام ١٩٨٥، ولكن عند عودته ، بدا أكثر استعدادا للتفاوض حول رؤيته مع الآخرين. إن إنكار الواقع يمكن أن يكون مفيدًا في حسم المواقف، إلا أن التفكير المتماسك مطلوب لتوسيع نطاق القرار والتي توظف الزملاء و المستثمرين لرؤية مشتركة جديدة.

يؤكد مؤلفا الكتاب، أن البيانات الضخمة بدون سرد شامل لهيكلها يُمكن أن تصبح عديمة الجدوى. المعرفة الإحصائية تُفقد قيمتها عند عدم فهم سياق الأحداث و العمليات، ومن ثم لا ينبغي أن ننظر إلى السرد على أنه بديل للاقتصاد القياسي التقليدي، ولكن باعتباره مكملاً ضروريًا له. أو يمكن القول يجب أن يكون هناك تكامل بين علم الاقتصاد السردي والعمل التجريبي التقليدي.

في الختام، يبدو أن معظم أفكار الكتاب كأنها ردود أفعال للأزمة المالية، حيث يُركز على فكرة أن النماذج لم تعمل بشكل جيد في الأزمة المالية. على الرغم من مرور ١٠ سنوات على الأزمة، يبني كينج على كتابه السابق «نهاية الخيمياء» و التأكيد على فشل النماذج. يسعى المؤلفان إلى تحسين النهج و النموذج في التعامل مع عدم اليقين، وهو اقتراح جيد ولكن ليس بالمثالي. يحاول الكتاب المكون من ٥٠٠ صفحة التمييز بين عدم اليقين القابل للقياس وغير القابل للقياس، حيث يجادل بأن معظم أحداث العالم الحقيقي تظهر عدم يقين جذري، وبالتالي فإن معظم النماذج الكمية للمخاطر عديم الفائدة. يُسارع المؤلفان في الادعاء بأن الظواهر غير مؤكدة جذريًا في حين أنها في الواقع قابلة للتتبع، ويقدمان مثالًا بعد مثال على الأحداث التي لم يكن من الممكن توقعها مسبقًا. إنهما محقان في أن صعود الهواتف الذكية كان من الصعب التنبؤ به ، لكنهما غالبًا ما يكونان مخطئين. حتى عندما تكون النماذج الكمية لعدم اليقين غير دقيقة، فإن هذا لا يعني أنها غير مفيدة. إنهما يسخران من ممارسة استخدام التحليل الكمي لعائدات سوق الأوراق المالية المستقبلية في التخطيط للتقاعد، لكنهما لا يقدمان أبدًا بديلاً جيدًا باستثناء المفهوم الغامض للسرد.

في هذا الكتاب العميق والعملي، يعترف كاي وكينج أنه في المجالات الحاسمة لا نستطيع معرفة ما يجري، ولكننا نظهر بمقدرة على التكيف مع المتغيرات. يجمع الكتاب طريقتين من التفكير: الأولى وهي البعد التقليدي والتي تتمثل عند التعامل مع المخاطر وعدم اليقين. أما الثاني فيتمحور حول دور القصص و الروايات في التحليل. يُعطي الكتاب بعداً آخر للتحيل وخاصة عند الدمج بين الطريقتين. حاز الكتاب على استحسان النقاد، وتم تصنيفه ضمن قائمة الفايننشال تايمز لأفضل الكتب الاقتصادية.

- الكتاب: عدم اليقين الراديكالي: اتخاذ القرار وراء الأرقام
- المؤلف: جون كاي وميرفين كينج
- الناشر: W. W. Norton & Company
- سنة النشر: 2020
- عدد الصفحات: 544
- اللغة: الإنجليزية

*** كاتب عُماني**

عن دلالة روايات نهاية العصر

إنغو رويتر

رضوان ضاوي *

ولد الكاتب واللاهوتي والفيلسوف الألماني إنغو رويتر عام ١٩٦٨ في دويسبورغ، وهو بروفيسور علوم التربية الدينية في كلية العلوم الثقافية في جامعة بادربورن. من اهتماماته العلمية: الأسئلة الثقافية التأويلية في علم الدين، والفلسفة والميديا. كتب ونشر العديد من المساهمات عن ظواهر الثقافة الشعبية. من كتبه: «الإيمان المسيحي في مرآة ثقافة البوب»، فيسبادن ٢٠٢٠، وكتاب «الموتى السائرون-البقاء على قيد الحياة في أسوأ مناطق العالم الممكنة»، فرتسبورغ، ٢٠١٨. وقد صدر كتابه «عن دلالة روايات نهاية العصر» لإنغو رويتر ضمن سلسلة «ماذا يعني كل هذا؟» التي تصدرها دار النشر الألمانية الشهيرة ريكلام. وقد قدّم إنغو رويتر مجموعة من التصورات في هذا الكتاب لكنه قيم حول معنى الروايات التي تحدثت عن فكرة نهاية العالم. وهي فكرة قديمة قدم البشرية نفسها، حيث تحدث الكتاب المقدس عن سيناريو الرعب الشنيع لنهاية العصر، التي ستأتي على مرحلتين رئيسيتين: أولاً، سيدمِّر الله الدين الباطل، ثانياً، سيهلك الله جميع الأشرار في «حرب اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء» التي تسمى أيضاً «هرمجدون». وحتى يومنا هذا، ما زالت تعيش فكرة النهاية الكارثية في الأدب والرسم، وفي الأفلام، وأيضاً في ألعاب الكمبيوتر.

يمكن أن تدمر قنبلة نووية الأرض، فيصبح الكوكب الأزرق غير صالح للبشرية بسبب الإشعاعات النووية. رغم ذلك يوجد دائماً ناجون يعملون على إعادة تأهيل الأرض، وعلى إيجاد ناجين آخرين. هناك دائماً إمكانية لبداية جديدة لبعض الشباب الذين يعودون إلى الأرض. هكذا تبدأ السلسة التلفزيونية The ١٠٠ المقتبسة عن كتاب لكاس مورغان Kass Morgan صدر في أجزاء عديدة منذ عام ٢٠٠٣، وتدور وقائعه حول قنبلة نووية كانت سبباً في التدمير، ولكن أيضاً كانت دافعاً لبداية جديدة Neuanfang. هكذا ينظر الكاتب لروايات الفيضانات باعتبارها آلية من آليات تنظيف العالم من خلال رواية Eine Geschichte der Welt in 10 Kapiteln 2/1 ليوليان بارنس وفلم Noah الذي صدر عام ٢٠١٤. في هذه الروايات، يصبح الإنسان موضوع الفعل وصانع القرار. يطرح المؤلف سؤالاً جوهرياً عن مصدر التشدد والحتمية التي تتصف بها روايات نهاية العالم، التي انتشرت ابتداء من عام ١٩٥٠ وساهمت في وضع تصورات لسيناريوهات عديدة؟ فمنذ تفجير أول قنبلة نووية حدثت تغيرات جذرية عميقة، ومنذ ذلك الحين أظهر الإنسان استعداداً غريباً لتدمير هذا الكوكب وبالتالي القضاء على البشرية بالكامل. فهي لم تكن مسألة مُفكّر فيها فقط، بل أصبحت تصوراً قابلاً للتطبيق والتحقق. ويعتقد الكاتب أن هذه السيناريوهات الكارثية تشكل على الدوام مصدر قلق كبير للناس، ما دامت تثير أسئلة وجودية تجعل منها، أو بعبارة أكثر دقّة وتعبيراً؛ من الروايات، سواء كانت كتبًا أو أفلامًا أو رسومات، تضفي إثارة اهتمامنا وتساؤلاتنا، وهو ما دفع بالباحث إلى مزيد من الدراسة والتدقيق في هذا الموضوع.

يستعين الكاتب في هذه الدراسة بمصادر مختلفة ومتنوعة جداً من الكتاب المقدس والروايات التاريخية إلى المسلسلات التلفزيونية وألعاب الكمبيوتر. يستند الكاتب إلى كل هذه المصادر الخاصة بسيناريوهات نهاية العالم، ليبحث عن المشترك في كل هذه الروايات المختلفة عن نهاية العصر، وعن ماهية الإنسان وارتباطه بالعدالة وبالشعور بالذنب والوضعية الراهنة للحضارة. فما الذي يمكننا أن نستنتجه من هذه المصادر؟ - ربما يستطيع الإنسان أن يتعلم مدى أهمية الحفاظ على إنجازات الحضارة، والحفاظ على الشبكات الأمنية للمجتمع، والآليات التي تضمن البقاء على قيد الحياة. على الإنسان، على الصعيد الفردي، أن يُكافح كثيراً لضمان بقاء العالم فضاءً حيوياً للبشرية والمخلوقات الأخرى، وعليه أن يستغل فرصته كي يستمر في الوجود.

في ٢٥ يناير ٢٠١٨، تم تقديم «ساعة نهاية العالم» الرمزية، والمعروفة أيضًا باسم «ساعة يوم القيامة»، من قبل لجنة من العلماء (بمن فيهم ١٥ فائزًا بجائزة نوبل) في دقيقتين إلى اثني عشر دقيقة؛ ما يشير إلى أنَّ النهاية قريبة، وأن البشرية تعيش في نهاية الزمان. ولكن لم يكن هذا الاكتشاف جديداً. ففي القرن السابع عشر استهل جريميلسهاوزن Grimmelshausen روايته الشهيرة «مغامرات سيمبليسيسوس تويتش» Simplicissimus من عام ١٦٦٩ بملاحظة أن الأمر برمته حدث «في هذا الوقت من زمننا (الذي يعتقد / أنه سيكون الأخير)».

في بداية كتابه مباشرة، اقتبس الكاتب هذه الجملة المشهورة حيث يعلق المؤلف عليها بالتذكير بشعور الناس بالتهديد المستمر بالموت من خلال كارثة حرب الثلاثين عامًا)١٦١٨-١٦٤٨(التي حدّدت شعور نهاية العالم بالنسبة لجريميلسهاوزن. ويذكر الكاتب أن الخوف المروع السائد من نهاية العالم في العصور الوسطى، منتشر أيضاً في العالم المعاصر، إنها نفس المخاوف القديمة الجديدة، ولكن التهديدات والمخاطر تنوعت واختلفت وأصبحت أكثر فتكاً وأكثر وضوحاً. كما أن مصدر هذه التهديدات لم يعد مُتعلقاً بالقوى الخارقة وبالله، بل أصبحت ذواتنا هي المصدر الأساسي لهذا الخطر.

اجتهد المؤلف في دمج سيناريو كورونا الحالي في كتابه، لذلك عندما يفكر في سيناريو الأسابيع القليلة الأولى من أزمة كورونا عام ٢٠٢٠: مدن فارغة، متاجر مغلقة، طرق سريعة مهجورة، صور مروعة من المستشفيات، في إيطاليا والصين وإيران وألمانيا، - فإنه يجد ذلك فظيعًا حقًا. وهي سيناريوهات كان الناس قد تعرفوا عليها من خلال أفلام الرعب السينمائية فقط. وقد أربك وباء كورونا العالم كله وأذهل الجميع. فما كنّا نفكر فيه دائمًا على أنه فيلم رعب، يمكن أن يصبح حقيقة بطريقة معينة. لكن الكاتب يقرأ ما وراء التهديدات الحقيقية لكورونا: فهي تجربة سيئة للغاية، بل أسوأ بكثير كسيناريو لنهاية العالم، إنها خطر حقيقي إذا جاز التعبير. ولهذا يعتقد المؤلف أن العدالة تتصرف بغرابة مع أزمة كورونا في النقطة التي يمكن تحديدها فيها: لا يصيب الفيروس الجميع بالتساوي، لكنه يصيب الفقراء، والذين لا يتلقون رعاية جيدة بشكل أقوى من أولئك الذين هم أفضل حالًا والذين يستطيعون الفرار أو لديهم رعاية طبية أفضل. ففي سيناريوهات الكوارث، يكون السؤال دائمًا: من يصل إلى سفينة الإنقاذ أولاً، ومن لديه فرصة لتأكيد ذاته وتفوقها حتى في أسوأ سيناريوهات الانهيار؟. في هذا الصدد، تعد العدالة موضوعًا أساسيًا جدًا في الأفلام وفي الروايات، وهو الأمر الذي ينعكس على واقعنا المعاصر.

تطرق المؤلف لأحداث المسلسل التلفزيوني «الموتى السائرون» «The Walking Dead» والذي يستيقظ فيه المأمور ليرى عالما مدمرا من حوله والموتى سائرين في الشوارع. بعد ذلك يلتقي البطل بعائلته وبعض الناجين ويقود المجموعة الصغيرة التي تكافح من أجل البقاء على قيد الحياة. يعتبر المؤلف هذا النوع من الأفلام استعارة فيها تشبيه لشيء اجتماعي. ففي مثل هذه الأفلام نلاحظ أنَّ الناجين يعملون على صنع آليات الاستبعاد في المجتمعات: مجتمعات صغيرة تنقذ نفسها وتحارب الزومبي الآتين من الخارج. يقوم المؤلف بالإسقاط على ما يحدث في الزمن الراهن، فيلاحظ أن المجتمعات المسوّرة والمنغلقة على نفسها تعاني مشاكل اجتماعية كبيرة. في قصص الزومبي نكتشف ما يسميه المؤلف بالقبلية المعاصرة التي ظهرت بوضوح في سياسة الرئيس)السابق(ترامب، التي تحمست مرة أخرى لسيناريوهات اجتماعية وسياسية مرعبة تقوم قاعدتها على المبدأ القائل: «أن نقف معًا ضد الآخرين، أو أن نخطط نحن ضدّ الآخرين». ويهتم الكتاب كثيرا بالتحقيق في مسؤولية هذا الخطر. يكتب المؤلف: «كل من يتحدث عن نهاية العالم يتحدث عن الذنب»، فمن المؤكد أنه في الوقت الراهن لم يعد الناس يلقون بالمسؤولية عن هلاك البشرية للكوارث الطبيعية والقوى الطبيعية، ولكن المذنب الكبير في الروايات المعاصرة عن نهاية العالم، هو الإنسان نفسه. وهذا الدمار من صنع يديه، حتى ولو لم يكن مسؤولاً مسؤولية كاملة عنه. وإذا نحن تأملنا في روايات نهاية العالم، نجدها تروي أقل عن نهاية العصر، وأكثر عن النجاة والبقاء على قيد الحياة أثناء حدوث الدمار. وهذا ما يرويه فلم I am Legend الذي صدر عام ٢٠٠٧، وكذلك مسرحية Die Sündflut لعام ١٩٢٤.

كانت الناشطة الشابة غريتا ثونبرج قد ألقت خطابا في المؤتمر العالمي لتغير المناخ في كاتوفيتشي في ديسمبر ٢٠١٨، سلطت فيه الضوء على أن الفشل السياسي في مواجهة تغير المناخ يدفع العالم إلى الدمار. كان حلمها في هذا المؤتمر هو الاعتراف بأن البشرية تواجه تهديدًا وجوديًا. هذه أكبر أزمة وجدت البشرية نفسها فيها. وعليها أن تدرك ذلك ثم تنهض للقايم بأمر ما لوقف الانبعاثات والعمل على إنقاذ ما تبقى لديها. وفي يناير ٢٠١٩، نزل تلاميذ المدارس الألمان إلى الشوارع للاحتجاج على تغير المناخ. فقد أصيبوا بالذعر حين تيقنوا من حقيقة أن العالم يغرق في العواصف والفيضانات، وربما أدركوا أن الاحتجاج على هذا الأمر أكثر أهمية بالنسبة لهم من التعليم الإلزامي، فعواقب تدمير العالم بسبب تغير المناخ وأسلوب حياتنا الخاطئ يهدد جيلهم أكثر من تغيبهم عن المدرسة. يكافح الشباب ضد تغيير المناخ، وضد تجاهل الكبار للقضية، ويحتجون عن عدم وجود بدائل، فهم لم يعودوا يصدقون روايات كبار السن عن مستقبل مخطط له مسبقا وغير قابل للتغيير. إنهم يتساءلون ببساطة عن علاقتهم بهذا العالم ومكانهم فيه، ويحاولون تفكيك هياكل السلطة من خلال إبداعهم لأشكال متنوعة وجديدة للمقاومة حيث يلعب الاتصال عبر وسائل التواصل الاجتماعي دورًا مهمًا في هذا الأمر.

يؤمن الكاتب بأن التركيز هنا على القضايا الاجتماعية الحاسمة يحيل على نهاية العالم، وأيضًا على العدل. لأن السؤال كان دائما: من يستطيع أن ينقذ نفسه في النهاية؟ من ينتهي عنده العالم؟ وكيف تستمر الحياة بطريقة أو بأخرى؟ ومن حجز لنفسه مكاناً آمناً على السفينة وبأي ثمن؟- تتناسل الأسئلة ليس فقط فيما يخص تغير المناخ، بل أيضاً، وبشكل أساسي، فيما يتعلق بالمجال الحيوي: من الذي لا يزال قادرًا على تحمل تكاليف الأدوية لمكافحة الأوبئة التي تستمر في الانتشار في أجزاء من العالم؟ كم عدد الأشخاص الذين سيحصلون على مكان في الملجأ؟- ربما ترتبط الأجوبة على كل هذه التساؤلات بقضية العدالة ومسألة الشعور بالذنب. كما أن النظام الاقتصادي العالمي العادل يجب أن يتحول إلى نمط حياة الفرد اليومية.

يشدد المؤلف على أن الفلمين Deep Impact الذي صدر عام ١٩٩٨، وفلم Armageddon يقدمان لنا عناصر مهمة نستفيد منها لفهم سيناريوهات نهاية العالم: ١. في مواجهة الخطر تتحد الإنسانية، ٢. يمكن حل المشكل تقنيا، ٣. الشجاعة والتضحية بالنفس لدى الفرد خصلة متوفرة ٤. تقدم العائلة نقطة انطلاق آمنة ومركز قوة لكل الفاعلين في مواجهة أي خطر أو هجوم خارجي: نظرا لأن العدو يأتي من الخارج، فإن الصراعات الأرضية ليست مهمة. ففي إطار الجهود من أجل دفع الخطر الخارجي تتوحد كل القوى. ولم تعد مسألة البقاء على قيد الحياة للبشرية مسألة وطنية. لكن إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية الفني يظهر دائما مزيداً من الثقة في الدور القيادي الخاص بأمريكا في العالم.

يتحدث الكاتب عن سيناريوهين لنهاية العالم حاليا: إلى جانب الانتشار العالمي للأمراض الفيروسية مثل ما نعيشه مع فيروس كورونا منذ عام ٢٠٢٠، وخطر تغير المناخ الحقيقي، يشعر الإنسان كأنه نموذج متوقف. وتبدو التقانة التي صنعت الرجل الآلي قد تجاوزته، وأنها ستنفي وجوده. إن مخاطر التقانة تصل إلى أبعاد وجودية، لأن البشرية يمكن أن تدمر نفسها، كما تحدث عن ذلك الفيلسوف Günther Anders عام ١٩٥٦. يقدم فلم Autometa الذي صدر عام ٢٠١٤ نسخة لنهاية البشرية واستيلاء الآلات على

الحضارة المتطورة. هذا الفلم يصور بدقة ما يسميه الكاتب ما بعد النزعة الإنسانية Posthumanismus ، حيث انتهى عصر الأنثروبوسين وبدأ عصر الروبوت الجديد، وهو عصر الصناعة والعمل والاستهلاك.

بخصوص الحروب النووية والتهديد الخارجي، يقدم فلم The War Game الذي صدر عام ١٩٦٥ الحرب النووية، كذلك رواية Die Grossen in der Tiefe التي صدرت عام ١٩٦٢ وتناولت أحداثها الحرب النووية الباردة. وهنا يستخلص الكاتب أن الفاعل المثر ليس الله أو التقانة، بل العنصر البشري. وقد بدأ الخوف من الإشعاعات مع كارثة تشيرنوبيل عام١٩٨٦. وتحكي العديد من الأفلام عن انتشار الأمراض القاتلة، وعن محاولات احتوائها. من هذه الأفلام نذكر Outbreak، وفلم Twelve Monkeys وغيرها. وتسبب انتشار الفيروسات الإلكترونية في كوارث لها مستويات مختلفة جدا. هذا يعني، من وجهة نظر المؤلف، أن مثل هذا النوع من روايات نهاية العصر هي، إذا جاز التعبير، وصف ملتهب لحالة حضارتنا الحالية.

من الناحية الإبداعية، يعتقد المؤلف أنه من الممكن جعل العالم أجمل أدبيا. ذلك أن الروايات التي تدور حول كيفية جعل العالم أكثر جمالا تتحدث عن مساهمة كل فرد في هذا المشروع، لكن هذا الأخير يصطدم بحالة يأس تمنع تغيير الواقع المؤلم للعالم، فتكتسب معه سرديات نهاية العالم مصداقية أكبر. وقد تم نسيان حقيقة أن المصالح الهائلة للصناعة والأعمال ومصالح رأس المال الوحشية هي العامل الرئيسي وراء التدمير. تدمر البشرية موارد الأرض وبالتالي تعرض للخطر استمرارية وجودها.

تطرح العدوى الاجتماعية سؤالا مهما عن العلاقات الإنسانية أثناء وقوع الكارثة، وعندما تنهار الحضارة ويشكل أي شخص حاملا للعدوى أو يقوم بالسرقة والقتل تهديدا للشخص الآخر، وهو ما تقدمه أفلام الزومبي، حيث نرى أن الإنسانية تعود إلى الحالة الطبيعية للحرب التي تُخاض ضد الجميع. أما بخصوص فيروسات الكمبيوتر، ففي رواية Blackout لعام ٢٠١٠، وصف الكاتب النمساوي مارك إلزبرغ ما قامت به مجموعة إرهابية حين أطلقت فيروسا إلكترونيا على شبكة الكمبيوتر الخاص بمصلحة الطاقة في بلد أوروبي، وكنتيجة لهذا الفعل الإرهابي، انقطعت الكهرباء في كل بلدان أوروبا، وفي جزء كبير من أمريكا. لم يطلع الألمان على التقارير المتخصصة للبرلمان الألماني، وهذا هو السبب في أن قصة إلزبرغ هي التي ساهمت في رفع الوعي العام بمثل هذه المشاكل، إضافة إلى تقارير الأجهزة المتخصصة. توجب على الروائي النمساوي التقصي والبحث في الوقائع كي يدرجها في روايته، بالتالي فالعمل التخييلي يقود القارئ إلى بداية اهتمامه بالحقيقة. في روايات نهاية العالم يتفاهم المجتمع مع نفسه، ويطرح الجميع السؤال: أين هو الإنسان؟ ومن هو؟ في حكايات نهاية العالم، يتفهم المجتمع نفسه، كل شيء يصل إلى ذروته: ما هو الإنسان في مواجهة حالة التهديد الوجودي والانحلال الاجتماعي للحدود؟ هذا يثير المزيد من الأسئلة على سبيل المثال حول طبيعة البشر في الكون، دوره ورد فعله على التهديدات أو سؤاله عن معنى العدالة ومن أين يأتي الخلاص في الكوارث. حكايات عن نهاية العالم، حكايات نهاية العصر، هي في الحقيقة عدوة لدمار العالم. من يحكي عن النهاية، هو يريد حقيقة أن يحذرنا من النهاية. قصص عن النهاية، عن الطوفان مثلا، توجد في كل الثقافات وتؤسس لعنصر مهم وأساسي في المعرفة الثقافية. اختلف الوضع اليوم، لكن حين يكون الروبوت هو مصدر الشر في عالمنا المعاصر، فإنه يحيل على صانع الروبوت، أي: الإنسان. أيضا فإن الطوفان في قفص نهاية العالم هو من صنع الإنسان اليوم، وليس من الله. تعيد هذه القصص والروايات والسناريوهات إلى الواجهة مسألة المذنب من جديد، ودائما يكون الإنسان هو السبب. وينبه على الطبيعة الخطيرة للإنسان، الذي بعد الكارثة سيكون ناجيا ويضطر للعيش في عالم ينقصه كل شيء مما يضيف له اليوم حياة إنسانية كريمة: أمن وعدالة وغذاء وأدوية، بنية تحتية ونظام دولة حر.

إن قراءة هذا الكتاب تمنح القارئ حساسية ثقافية خاصّة؛ فقد عمل المؤلف على توضيح الشعور بالرغبة الملحة في رسم نهاية العالم فنيّاً وأدبيّا باعتبار الفن والأدب هما مرآة للبشرية، التي تتساءل عن كيفية الاستمرار بعد الغرق، وعن حالتها بعد أن يخرج كل شيء عن سيطرة الإنسان ويصبح بيد القوى الخارقة، أو بيد التقانة، أو بيد الإنسان الشرير نفسه، والذي كتب روايات ورسم سيناريوهات عن سقوطه الذي صنعه بيده.

· الكتاب: عن دلالة روايات نهاية العصر.

· المؤلف: إنغو رويتر.

· اللغة: الألمانية.

· دار النشر: ركلام، ضمن سلسلة: ما ذا يعني كل هذا؟

· سنة الإصدار وعدد الصفحات: 2020، 93 صفحة.

*** باحثٌ في الدراسات الثقافية المُقارنة - الرباط / المغرب**

مؤامرة لينين: القصة المجهولة لحرب أمريكا ضد روسيا

بارنز كار

محمد السماك *

يروي هذا الكتاب تاريخ ما أهمله التاريخ، هنا الإهمال كان مقصوداً . فالوقائع بقيت سراً عن سابق تصوّر وتصميم . لقد تعمّدت الدولتان روسيا والولايات المتحدة عدم إثارتها ، وعدم الإشارة إليها في الأدبيات السياسية حتى أصبحت نسياً منسياً . غير أن إلقاء الضوء عليها الآن يُنير الطريق نحو معرفة حقائق تاريخية كان لها تأثير مباشر في عملية اتخاذ القرارات السياسية في كل من الكرملين - موسكو والبيت الأبيض - واشنطن . ولعل هذا التأثير لا يزال مستمراً حتى اليوم .

جرت وقائع القصة أثناء الحرب العالمية الأولى . كانت روسيا والولايات المتحد في جبهة واحدة ضد الألمان ، في هذه الأثناء انطلقت الثورة البولشفية، وأدى انطلاقها إلى انشغال روسيا الجديدة بأوضاعها الداخلية، عرضت ألمانيا عليها تسوية سياسية ثنائية تخرجها من الحرب . تلقّفت روسيا العرض بسرعة وخرجت فعلاً من الحرب . أدى هذا الخروج إلى خلل في ميزان القوى.

فالولايات المتحدة كانت تُريد أن تفرض على ألمانيا واقعاً تضطر معه للحرب على جبهتين معاً إضعافاً لها ؛ الجبهة الشرقية مع روسيا، والجبهة الغربية مع الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين. عبثاً حاولت واشنطن إقناع موسكو بالبقاء في الحرب ضد ألمانيا ، ولما عجزت عن ذلك اضطرت إلى اللجوء إلى الخيار الصعب وهو شنّ الحرب على روسيا ذاتها ، أملاً في ليّ ذراعها .

هذا الكتاب يروي قصة كيف ومتى حدث كل ذلك والنتائج التي ترتبت عليه، ومن هنا أهميته التاريخية وأهميته في العلوم السياسية .

إن أول ما يكشفه هذا الكتاب هو أنه لا صحة للاعتقاد بأنه رغم كل الاختلافات بين موسكو وواشنطن فإنهما لم يشتبكا في أية حرب أو في أية معركة قتالية . لقد سبق أن تغنّى بهذا الاعتقاد سياسيون وحتى أكاديميون أميركيون .

ففي عام ١٩٨٤ مثلاً وجّه الرئيس الأميركي في ذلك الوقت رونالد ريغان رسالة متلفزة إلى الشعب السوفياتي قال فيها: «إن حكوماتنا تواجه اختلافات عميقة وخطيرة، في الماضي وفي الحاضر، غير أن أبناءنا وبناتنا لم ينجرّوا أبدا لقتال بعضهم بعضاً ».

وردد هذا القول أيضاً -ولو بصيغة مختلفة- الرئيس باراك أوباما في محاولته لفتح صفحة جديدة من التعاون الأميركي - الروسي مع الرئيس فلاديمير بوتين، إلا أن الوقائع التاريخية تقول شيئاً آخر .

تقول إن الأميركيين والروس خاضوا حرباً مباشرة في محاولة أميركية للضغط على موسكو للعودة إلى الحرب (العالمية الأولى) ضد ألمانيا .

إن كتب التاريخ المدرسية والجامعية المُعتمدة اليوم في المدارس والجامعات الروسية تتضمن فصلاً -ولو موجزاً- عن تلك الحرب ، خلافاً للكتب الأميركية التي تتجاهلها كلياً .

فالكُتب الروسية -كما يقول المؤلف- تتحدث عن غزو أميركي - بريطاني - فرنسي مشترك لشمال روسيا جرى في عام ١٩١٨ ، بعد إعلان الثورة البولشفية مباشرة .

لم يكن الغزو يستهدف الثورة ، ولم يكن يُريد إعادة القيصرية إلى الحكم ، ولكنه كان يُريد حمل روسيا الجديدة على إبقاء الجبهة الشرقية مفتوحة ضد ألمانيا .. ولو بالقوة العسكرية .

يقول المؤلف: إن الوثائق الأميركية الرسمية وحتى كُتب التاريخ العسكري للولايات المتحدة تتجاهل كلياً هذه الحقائق التاريخية ، ولذلك فإن هذا الكتاب (خطة لينين) لا يُؤرخ فقط لما أهمله التاريخ ، ولكنه في الواقع يُصحّح وقائع فترة زمنية محددة من التاريخ الأميركي .

يُؤكد المؤلف أنه قُتل في عملية الغزو الأميركية - البريطانية - الفرنسية المُشتركة لروسيا (البلشفية) ٦٠٠ جندي أميركي . ولكنه لا يذكر أرقام الضحايا من الجنود الفرنسيين والإنجليز .

ويقول المؤلف أيضاً: إن العملية العسكرية الثلاثية (الغزو الثلاثي) منيت بفشل ذريع؛ فهي لم تكن غير مبررة فقط ، ولكنها كانت مغامرة عسكرية فاشلة بكل المقاييس . من أجل ذلك فإن الرئيس الأميركي في ذلك الوقت ودرو ويلسون (الذي قطف ثمار انتصار الحُلفاء على ألمانيا في فرساي - فرنسا) ووزير خارجيته روبرت لانسنيغ ، أخفيا عن الشعب الأميركي وقائع تلك الحرب الفاشلة وغير المُعلنة.

يروي المؤلف «بارنز كار» في كتابه كل تلك الوقائع اعتماداً على الأرشيف السري العسكري الأميركي الذي سمح له بالاضطلاع عليه لمرور الوقت .

أما على الجبهة الروسية فقد مُنيت روسيا بخسائر فادحة جداً خلال حربها ضد ألمانيا،وعندما جرى التخلص من القيصر في فبراير - شباط ١٩١٧، كان هدف لينين وقف النزف البشري في جبهة القتال مع ألمانيا . وقد وعد لينين الشعب الروسي بذلك فعلاً وعلناً . وهو ما أقلق الحُلفاء الثلاثة : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . ولما فشل الحلفاء بإقناعه بالتراجع عن موقفه ، لم يجدوا سبيلاً آخر سوى محاولة إجباره على العودة إلى الحرب بالحرب . لقد اعتقدوا أن منع روسيا من الخروج من الحرب ضد ألمانيا بالقوة هو عمل مشروع للدفاع عن النفس في وجه الآلة العسكرية الألمانية خاصة وأن لينين وصل إلى السُلطة في موسكو بانقلاب، وأنه صادر ممتلكات الدولة الروسية بالقوة العسكرية الانقلابية . ثم أن واشنطن ولندن وباريس وجدت أن لينين برفع شعار تصدير

الثورة البولشفية يُهدد الأمن والسلام في العالم . أدت هذه الأمور مجتمعة إلى تصنيف روسيا عدواً، وعزّز من هذا التصنيف خروجها من الحرب ، وهو الخروج الذي يُريح «العدو» الألماني من حيث أنه يقفل الجبهة الشرقية ويمكّنه من التفرغ للجبهة الغربية.

يقول المؤلف: إن الدول الثلاث (الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا) كان لها تقييم موحّد للموقف الذي فرضته الثورة البولشفية، ولكن هذه الدول لم تكن لها رؤية موحدة حول ماذا عليها أن تفعل وكيف تردّ .

بدأ ردّ الفعل بإرسال مجموعات من الجواسيس لتقديم رشاوي إلى عدد من قادة الحركة البولشفية مقابل إقناعهم بالاستمرار في الحرب ضد ألمانيا . وهنا يروي المؤلف قصصاً مُثيرة حول أدوار الجواسيس ورجال الأعمال والبنوك وعلماء الاجتماع وحتى الانتهازيين . ويقول إن المشرف العام على تلك المنظومة من العملاء كان بطل التنس الأميركي «ديرويت كلنتون» (وكان يُعرف لدى جهاز المخابرات الروسي بلقب «بودل») . كان صلة الوصل مع ديرويت ، ضابط أميركي من أصل روسي يُدعى «سينوفون كالامانيافو»، وقد ألقي القبض عليه في موسكو ، وكان أول جاسوس يجري تحريره في عملية تبادل بين موسكو وواشنطن .

ويقول المؤلف: إنه إلى جانب جهود التجسس التي قامت بها الولايات المتحدة ، كانت لكل من فرنسا وبريطانيا جهودهما أيضاً. ولعل من أبرز أبطالها الفرنسي : شارلز أدولف فوبا بيدا» وهو الشرطي المحقق الذي قاد العملية ضد «ماتاهاري» الشهيرة .

بعد فشل محاولة الإقناع بالرشوة، كانت المحاولة الثانية التي اعتمدت أسلوب اغتيال القادة الكبار في الحركة البولشفية، وذلك من أجل إشغال الحركة بذاتها وصرفها عن تنفيذ القرار الجديد بالانسحاب من الحرب .

وكان على رأس قائمة المستهدفين بالاغتيال بطل الثورة نفسه لينين . وبالفعل تعرّض لينين لأكثر من محاولة اغتيال ، أهمها: عملية إطلاق الرصاص التي أصابته في العنق والكتف. وقد جرت

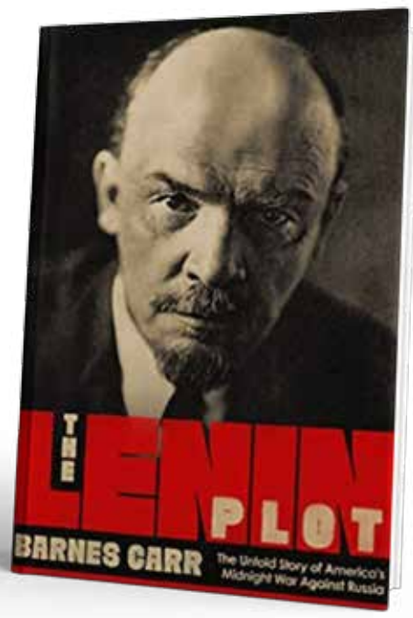

تلك العملية خارج مدينة موسكو في أغسطس - آب ١٩١٨ في أحد المصانع . ولكن لا يُعرف حتى اليوم ما إذا كان أبطال تلك العملية كانوا من عملاء المخابرات الأميركية أو الفرنسية أو الانجليزية ، أو من معارضي الثورة البولشفية من الروس أنفسهم.

وبعد أن فشلت كل تلك المحاولات لجأت الدول الثلاث بقيادة واشنطن إلى شنّ الحرب العسكرية المباشرة على روسيا ولكن دون إعلان .

بدأت الحرب بدعم «القوى البيضاء» من الروس المعارضين للثورة البولشفية الشيوعية الحمراء. وكان الهدف تعميق الحرب الأهلية .

تصدّت الثورة البولشفية للتمويل الأميركي، فأوجدت واشنطن طرقاً غير مباشرة عبر البريطانيين والفرنسيين لتوصيل الدعم المالي التشجيعي للقوى المعارضة للثورة الشيوعية . ورغم أن الرئيس ويلسون نفى أن تكون بلاده وراء ذلك ، فإن المؤلف يؤكد أن الوثائق تُؤكد عكس ما يقول. مع ذلك فإن رشوة «القوى البيضاء» لتشجيعها ولتمكينها من مواجهة القوى الشيوعية الحمراء، لم تنجح في تغيير معادلة القوى على الأرض، هنا وجدت الولايات المتحدة أنه لم يعد أمامها بديل عن الحرب .

يقول المؤلف إن تلك الحرب لم تكن فقط حرباً غير مشروعة، ولكنها كانت حرباً فاشلة . وفوق ذلك كانت حرباً من دون تأثير يُذكر .

بدأت الحرب حول مرفأ «ارشنجال» . وكانت القوة المُهاجمة تتألف من ٢٠ ألف رجل ، كان بينهم ٤٥٠٠ أميركي . كانت هذه القوة العسكرية من الصغر - مقارنة بمساحة روسيا وعدد جيشها- بحيث أنها لم تكن قادرة على إحداث أي تغيير يُذكر؛ فالولايات المتحدة وحلفاؤها كانت تُركزّ عسكرياً في ذلك الوقت على جبهات القتال ضد ألمانيا، ولم تشأ أن تتحوّل حرب الضغط على روسيا إلى حرب استنزاف لقواتها المشتركة تُعزّز الموقف العسكري الألماني . مع ذلك حفرت الحرب الأميركية على روسيا عميقاً في الذاكرة الروسية ، ولا تزال حتى اليوم تلعب دوراً أساسياً في صناعة القرار الروسي عندما يتعلق الأمر بالعلاقات مع الغرب (أميركا - بريطانيا - فرنسا) . ولا شك في أن الجنرال ستالين كان يعرف هذه القصة جيداً عندما جالس الرئيسين الأميركي روزفلت والبريطاني تشرشل في بوتسدام؛ لاقتسام النفوذ في العالم بعد الحرب العالمية الثانية . ولا شك أيضاً في أن الرئيس الحالي فلاديمير بوتين (رجل المخابرات السوفياتية السابق) كان يعرف هذه الخلفية عندما اجتمع بالرئيس الأميركي دونالد ترامب .

يقول المؤلف إن الروس (السوفيات) لم ينسوا ذلك أبداً، وإنهم لم يغفروه أبداً؛ ذلك أن تلك العملية العسكرية كانت بداية حرب أميركية - سوفياتية باردة استمرت منذ ذلك الوقت حتى (سقوط جدار برلين) في عام ١٩٨٩.

· الكتاب: مؤامرة لينين: القصة المجهولة لحرب أمريكا ضد روسيا

· المؤلف: بارنز كار

· الناشر : بيغاسوس Pegasus

· الصفحات : 388

· التاريخ : 2020

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

أوروبا المُسلمة وتجليات الهوية... إيرينا فارياش

سوزانا كاهالان

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

كان الفضاء في أوروبا الغربية ولعدة قرون، يتسع للهوية الإسلامية. في أوروبا كان قرع أجراس الكنائس يندمج في مدنها عند الفجر والغسق مع آذان المساجد، وكان المصلون المسلمون يسلكون طرقاتهم المؤدية إلى أماكن عباداتهم بهدوء وأمان، كما كانوا يقسمون اليمين في المحاكم الإسبانية باللغة العربية والكاتالونية القديمة على حد السواء. لا يعرف أوروبيو اليوم هذا الفضاء، ولا يمكنهم تذكر هذا الفصل المجيد من تاريخ حضاراتهم. مع ذلك وبعد كل شيء، فإن أوروبا المسلمة جزءً لا يتجزأ من تاريخ الغرب الحديث. وبالرغم من الأصوات المتعالية التي تشق عنان السماء الأوروبية الرافضة للهجرة والمناوئة للأجئين، التي لا تني تمجّد دور الحضارة الأوروبية في خدمة العالم، إلا أن وجهة النظر التاريخية تؤكد على أهمية أن تستعيد أوروبا الخبرات والاستراتيجيات من عصورها الوسطى، وتستخدم تجربتها القديمة للتركيز على واقعها الاجتماعي المعاصر وانفتاحها على الآفاق الإنسانية. ووفقا للمؤرخة الروسية الأستاذة في جامعة موسكو الحكومية إيرينا فارياش، فإن الشيء الوحيد الذي بقي للأوروبين في هذا السياق يكمن في إعادة النظر إلى تجليات الهوية الإسلامية الأوروبية (التي أمست باهتة) ودمجها بتجربتهم الحضارية الحديثة.

حول أهمية هذا الموضوع حاضرا، تكتب الباحثة في مقدمة كتابها: «سيتعامل هذا الكتاب - في العديد من النواحي - مع الماضي الأوروبي المنسي، ومع حقيقة أن العالم اللاتيني فضّل في مرحلة ما من تاريخه أن يزيله من ذاكرته الاجتماعية، واعتباره مظهراً من مظاهر الصدمة التي تلقاها الغرب في تاريخه، أو من قبيل «عقدة الطفولة» في الثقافة الأوروبية. إلى أي مدى تبلغ معرفة تلاميذ المدارس الحديثة، أو حتى خريجي الجامعات، عن الإسلام والمسلمين الذين عاشوا في أوروبا في العصور الوسطى؟ كيف انتظمت حياتهم آنذاك وكيف اختبروا هويتهم الدينية في القارة الأوروبية؟ (ص ٩)

لقد عمدت المؤلفة قصداً وبطريقة واعية إلى صرف النظر عن المناطق والمستوطنات، والمراكز التجارية الإسلامية التي كانت تُمثل أسلوب حياة الشرق في أوروبا. ومع أن تلك التجمعات كانت امتدادا لشجرة الثقافة الشرقية العظيمة وفرعا لها، إلا أنها لم تكن جزءًا أصيلا في البيئة الأوروبية، وظلت مستقلة عن محيطها رغما من العنصر الجغرافي والثقافي الأوروبي الذي وُجدت فيه. وبحسب رأي الكاتبة فإن تلك التجمعات الشرقية الطارئة على أرض أوروبا ليست هي ما جعل الأندلس وصقلية المسلمة وإمارة غرناطة مكونات عضوية في العالم اللاتيني، بل التكتلات السُكانية الكبيرة للمسلمين الذين طال مقامهم في أوروبا (من قرن وما فوق)، وتمتعوا باستقلال وحكم ذاتي، مع اعترافهم واندماجهم بالهياكل السياسية الأوروبية.

من المعروف أن مملكة البرتغال ومملكة قشتالة وأراغون هي البلدان الأوروبية الرئيسية التي تواجد فيها عدد كبير من الرعايا المسلمين. وقد ارتأت المؤلفة التركيز على تاريخ مملكة أراغون بسبب الظروف التي تهيأت للمجتمعات الإسلامية هناك. وانطلاقا من نمط الحياة في أراغون، راحت المؤلفة تتأمل الثقافة الإسلامية ضمن فضاء حر غير نمطي، وتسلط الضوء على تجليات الهوية الإسلامية ضمن خلفيتها الأوروبية، وعلى المسلمين الذين جعلوا ولاءهم لملوك أراغون ولم يفرطوا بالتزامهم بالتقاليد الإسلامية، كما لم يضرهم شيئا احتكاكهم اليومي بالبيئة المسيحية. من جانب آخر فقد أدى فقدان السيطرة السياسية للإسلام هناك، وخضوع السكان المسلمين لسلطة المسيحيين، إلى تغييرات حاسمة على كل جوانب الحياة الإسلامية. في هذا السياق تطرح المؤلفة أسئلتها المركزية ومنها: ماذا يمكن أن يقال في هذا الصدد عن أصالة الهوية الإسلامية؟ وما الذي يُعنيه أن تكون مسلمًا في مملكة مسيحية؟ هل كانت الهوية الإسلامية مستقرة؟ وإن جرى تحريف عليها، فما نوع هذا التحريف وكيف جرى؟

فيما يتعلق بالمصادر فقد وضعت المؤلفة نصب عينيها، الاعتماد على الوثائق والأوراق المُحايدة، أي أنها اتخذت لبحثها معياراً علمياً يتسم باللغة التقريرية المباشرة. وفي هذا الاتجاه تكشف لنا المؤلفة عن عدد هائل من المصادر الأوروبية المخصصة للوجود العربي في أوروبا. وهناك مجموعة أخرى من المراجع الخاصة بالمؤلفين العرب كفتاوى ابن لب وتلاميذه وكتب الشاطبي وابن سراج وغيرهم.

تُؤكد الباحثة أن الهوية الإسلامية ظلت صامدة لفترة طويلة بشكل مثير للدهشة. فحتى عند اختفاء إمارة غرناطة من خريطة شبه الجزيرة الأيبيرية، وهي آخر معقل للنظام السياسي الإسلامي، إلا أن الحضارة الإسلامية لم تندرس إلا بعد قرون من ذلك. أما المحور الذي جعلته المؤلفة حجر زاوية بحثها فيتعلق بالمناطق التي ما زالت تحتفظ بملامح الهوية الإسلامية في أوروبا المعاصرة.

تبدأ المؤلفة بحثها عن تجليات الهوية الإسلامية في زمن الانتصارات الأولى لحقبة الاسترداد الإسبانية، عندما بدأ الملوك المسيحيون باسترجاع أراضيهم التي كانت تحت سيطرة الحكام المسلمين، ولكن مع بقاء السكان المسلمين داخل الممالك المسيحية، وبأعداد كبيرة. تُشير الكاتبة إلى هذا بقولها: «بطبيعة الحال، فور وقوع مدينة أو قلعة بيد المسيحيين، غالبًا ما كانت النخبة المسلمة المحلية تُغادر شبه الجزيرة الأيبيرية إلى الأراضي الإسلامية. ومع ذلك لم يكن جميع المسلمين مستعدين للتخلي عن منازلهم» وبيع ممتلكاتهم مقابل مبلغ زهيد. وفضل القرويون البقاء بأرض أجدادهم، يزاولون الحرث والزرع ورعي الماشية وإنشاء الحدائق. لقد اتخذوا قرارهم بعقلية دنيوية، انطلاقاً من ظروف مادية، وكانوا يدركون سهولة الحياة التي عاشوها هنا لأجيال عديدة» (ص ١٩).

تُؤكد الباحثة أن السلطات المسيحية تولت بداية الأمر مهمة جادة، وتمكنت في وقت قصير من وضع أُسس قانونية واقتصادية فعالة للتعامل مع عدد كبير من المسلمين في المملكة واعتمدت على الاستراتيجيات الإسلامية، ليس فقط بمعنى أنهم اقترضوا أفكار النظام الاجتماعي من المسلمين، ولكن أيضًا من حيث أنهم ناقشوا ووافقوا على الإجراءات المعمول بها مع ممثلي الطرف الإسلامي بلغة يفهمونها وغالبًا ما كانت اللغة العربية. وكانت تواقيع الحكام المسيحيين والمسلمين وشهودهم تتحرك في اتجاهين متعاكسين: من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار، مما عزز النظام والتعايش بين الطرفين»(ص ٢٣). وهناك نقطة مهمة تُشير إليها الباحثة وهي أن الجميع كانوا سواسية أمام القانون، فإن وقع شجار أو عراك بين مسلم ومسيحي، لا يتورع القاضي العربي بمعاقبة المسلم، أو القاضي المسيحي بإنزال الجزاء على شخص من ديانته، ولن يفلت أحد من سنة القانون هذه». (ص ٢٤)

تربط الباحثة بداية نهاية الأزمنة الذهبية، وتقلقل أوضاع المسلمين، بتدخل الكنيسة الكاثوليكية الرسمية. فتجد في قرار البابا كليمنت الخامس الذي صدر عن مجمع فيين عام ١٣١١ والذي منع بموجبه الآذان، قوة تفكيكية حادة جعلت العرش والمسلمين يعاودون بناء علاقاتهم بشروط أخرى. لقد سلط هذا القرار البابوي الضوء على مواقف المجتمع من الفريقين (المسلم والمسيحي)، واختبر مدى استعدادهم للحوار والتفاعل، كما كشف عن مدى رسوخ ممارسة شعيرة الأذان في شبه الجزيرة الأيبيرية، مما أعطى للمؤلفة مشروعية جعل الأذان السمة الأولى والرئيسية للهوية الإسلامية في أوروبا. وتخلص الباحثة إلى أنه «لولا قانون البابا الروماني، لما كانت لدينا تجربة بحثية فريدة من نوعها، تجربة تاريخية نادرة ميزت الهوية الإسلامية بشكل مباشر (...) لم تكن السلطات العلمانية في عجلة من أمرها لجعل منع الأذان قاعدة في أراضيها (...) كما أنه لم يبلغ إلى علمنا أية حالة من حالات تطبيق عقوبة الإعدام على ممارسة الأذان. وعلاوة عليه، لا نعرف عن إجراء محاكمات على أساس خرق حظر الأذان»(ص ٦٢). وتفترض الباحثة أن ممارسة الأذان ظلت سارية على الرغم من القرار البابوي، وذلك طوال القرن الرابع عشر بأكمله، وكان يُرفع، بطريقة أو بأخرى، في مدن وبلدات مختلفة في شبه الجزيرة الإيبيرية. فعند البعض احتفظ الأذان

بصيغته التقليدية؛ وذلك بفضل الامتيازات الملكية أو عن طريق تواطؤ السلطات المحلية، وفي حالات أخرى كان الأمر أكثر تعقيدًا، فلم يكن لدى المؤذن قدرة على إعلان دعوته للصلاة بصوت عالٍ وتحتم عليه اللجوء إلى طرق أخرى.

أما المكون الثاني للهوية الإسلامية في أوروبا فحددته الباحثة في ركن الحج. تُشير إلى أن المسلمين اشترطوا بحقهم في الحج في أول لقاء رسمي مع ممثلي سلطة المسيحيين: «لقد رأينا ذكر شرط الحج في كل مواثيق الاستسلام التي وصلتنا. فعلى سبيل المثال، في فترة استسلام مدينة توديلا عام ١١١٩، وبمبادرة من المسلمين، تم تسجيل أن أي شخص يرغب بمغادرة المدينة لأراضي المغاربة أو إلى أراضٍ أخرى فهو حر في تنقله ويمكنه المغادرة بأمان مع زوجه وأطفاله، حاملاً كل ممتلكاته، عن طريق البر والبحر وفي أي وقت من النهار أو الليل كما شاء. كما أدخل استسلام طرطوشة عام ١١٤٨ القاعدة التي تنص على أن المسلمين في هذه المدينة يمكنهم المغادرة بحرية دون الحصول علي أي إذن خاص أو موافقة من السلطات» (ص ٧٣).

غير أن أفضل دليل على أهمية الحج في تشكيل الهوية الإسلامية نجده في القرون الثلاثة من تاريخ مستوطنة تيزنيت الصغيرة في فالنسيا. تقول المؤلفة: «كانت المستوطنة مركز جذب للمسلمين المتدينين وأحفادهم وهو ما ضمن استدامة الممارسات الدينية الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية. فعلى مدى أحد عشر جيلًا متتاليا ظلت ذكرى القديس المدفون في المسجد المحلي حية. لا انتقال تيزنيت إلى حكم المسيحين في القرن الثالث عشر، ولا معمودية مسلمي شبه الجزيرة الإيبيرية في بداية القرن السادس عشر غيرت الوضع، وذلك برغم التحول الجذري الذي طرأ على الهيكل الاجتماعي والسياسي برمته. وبين هاتين المحطتين الزمنيتين كان هناك قرنان صعبان، الرابع عشر والخامس عشر، اللذين اتسما بالأزمات والحروب والطاعون والهجرة المكثفة للمسلمين إلى الأراضي الإسلامية وعدم الاستقرار العام. مع ذلك، وبعد قرن ونصف من ذلك الوضع، احتفظ المسلمون بذكراه بوضوح شديد، وكانوا مستعدين بحمية لترسيخ هويتهم الإسلامية لدرجة أنهم أعادوا مركزية الحج بسرعة وبشكل كامل، فتسابقت إليه أفواج المؤمنين، وكانوا يمتلكون معرفة كاملة لكيفية التصرف في الديار المقدسة، ما يعني من الجانب النفسي والفيزيائي والثقافي أن الهوية الإسلامية ظلت محتفظة بديمومتها» (ص ٨٥).

وتُشير المؤلفة إلى ملمح من ملامح الهوية الإسلامية الأوربية، يبدو جانبيا ولكنه معبّر، ألا وهو ملمح المظهر الخارجي للمسلم، حيث استبعده المسلمون هنالك ولم يخضعوا له. تبيّن المؤلفة قائلة: «لم يعتقد مسلمو البرانس أن طريقة تمشيط شعرهم أو تسريحاتهم لها علاقة بالدين. فإحساسهم بهويتهم المذهبية لم يأخذ هذا العامل الخارجي محمل الجد، ولم يجعلوه ضمن الالتزام الديني، بل إنهم تركوه عمداً خارج نطاق الهوية الإسلامية في أوروبا. وبالمقابل، ففي هذه المرحلة نفسها، لم تتطابق الثقافة اللاتينية والإسلامية، إن لم نقل إنها عاشت تعارضا فيما بينها، حيث تموضعت الثقافة اللاتينية في خط الدفاع عن هويتها بينما اختارت الثقافة الإسلامية سبيل التأقلم» (ص ١٤١).

- الكتاب: أوروبا المسلمة وتجليات الهوية.
- المؤلف: إيرينا فارياش.
- دار النشر: ناووكا/ سانت بطرسبورغ/ 2020.
- اللغة: الروسية.
- عدد الصفحات: 225.

*** أكاديمية ومستعربة روسية**

الحركة النسوية: ملاحظات من النساء اللائي تجاهلتهن الحركة

ميكي كيندال

فينان نبيل *

اختلفت الحركات النسوية، والأيديولجيات التي تهدف إلى الوصول إلى الحقوق المتساوية للمرأة في جميع أنحاء العالم في الأهداف، والنوايا وفقاً للزمان والثقافة والمكان، وتؤكد مؤرخات النسوية الغربية أن جميع الحركات التي تعمل على حقوق المرأة هي حركات نسوية، وإن لم تكن قياداتها نساء، لكن يجب أن نُميز بين ماهو نسوي «حقيقي» دون الميل إلى اتجاه سياسي، أو معايير عنصرية، فالحركات النسوية كفاح من أجل المجتمع ككل، ولا ينبغي التحيز إلى مجموعة دون أخرى، ولا ينبغي التحيز ضد الرجال، فهم شركاء في الكفاح ضد العنصرية، وهم الأبناء، والآباء والأزواج، وزملاء العمل، فمشكلة النسويات مع النظام الأبوي، وليست ضد الرجل، فهناك معارك مشتركة يخوضها الجميع في كل جانب من جوانب الحياة.

ينقسم تاريخ الحركة النسوية إلى أربع موجات، تعود الموجة الأولى إلى أربعينيات القرن التاسع عشر عندما طالبت النساء في الولايات المتحدة، وبريطانيا بحق الاقتراع، وتعود الثانية إلى ستينيات القرن العشرين، وسبعينياته، عندما نادت بالمساواة مع الرجل ليس فقط في الحقوق السياسية، لكن أيضاً في نطاق الأسرة والعمل، وتتميز الموجة الثانية بالشطط في المطالبة ببعض الحقوق مثل الحق في الإجهاض،إذ صاغت هذه الموجة قضيتها في «أن الرجل أفضل من المرأة، ولذلك أرادت أن تكون مثله، مما يعني هذا سجن المرأة في أدوار ثابتة ترتبط أساسا بنوع اجتماعي واحد هو «الرجل»، فتمردت النساء آنذاك على الدور الذي أُسند إليها بناءً على قدرتها على الإنجاب، والذي يجعلها ذات ارتباط وثيق بالمولود، فتتحمل تربية الأبناء عكس الرجل، وحتى تتحرر المرأة من هذا الدور الاجتماعي، لجأت إلى إنكاره، وطالبت بالأدوار والصفات الاجتماعية للرجل»، مما أدى لتوجيه النقد لهذه الموجة أكثر من غيرها. ظهرت في التسعينيات من القرن العشرين موجة ثالثة حاولت تقديم صورة للمرأة القوية الواثقة من نفسها وقدراتها، المتحكمة في مصيرها، التي تحتفي بجنسها، وتجاربها كما تعيشها بالفعل، مع الفخر بمشاعرها، وخبراتها. أسست هذه الموجة نقدها للموجتين السابقتين على أنهما صورتا المرأة بصفتها ضحية، ضعيفة، وأنهما موجهتان ضد الذكور، حيث هدفتا إلى التوسع في حقوق النساء،ومساواتهن بالرجال، مما يعتبر اعترافاً ضمنيًا بتفوق نمط الحياة الذكوري واعتباره معيارا لهن، كما لو كان تحرر النساء يتمثل بتحويلهن إلى رجال. اتخذت الموجة الثالثة اتجاها مغايرا حيث لم ترفض الخبرة الذكورية، وقامت الحركة على تضامن الرجال معها، عكس الموجتين اللتين كانتا تعتبران الرجال أعداء لهما. وفي حين أغفلت الموجتان السالفتان قضايا العرق، وأشعرت النساء الملونات، والأعراق المغايرة لها أنهن لسن جزءا من الحركة، ضمت الثالثة جميع أطياف المجتمع، وطبقاته، وهدفت إلى ضم جميع البشر رجالا ونساء من كافة الأعراق على تعدد توجهاتها، وميولها، كما انتبهت لأهمية استخدام وسائل الإعلام في التسويق للحركة النسوية.

ظهرت حديثا الموجة الرابعة، ومازالت لم تتبلور بعد، ولم تتوافر حولها سوى أدبيات قليلة إلا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بتبني قضايا التحرش، وتلجأ لمنصات التواصل الاجتماعي، وهو ما تستخدمه النساء في كل مكان حول العالم تقريباً للتوعية بالتحرش والأضرار النفسية التي تلحق بالنساء بسببه. إن أهم ما يميز الموجة الرابعة عالميتها ولا مركزيتها الناتجة عن استخدام الإنترنت كوسيلة للنشاط النسوي، بعيدا عن القاعات الأكاديمية والمكاتب المغلقة لمنظمات المجتمع المدني.

امتد تاريخ النضال النسوي وبلغ صداه جميع أنحاء العالم، وامتدت موجاته لتشمل دول العالم العربي وتركزت الحركة النسوية في العالم العربي على النضال من أجل تعليم المرأة، وحقها في الانتخاب، والعمل، واستند تاريخ النضال النسوي إلى جهد ضخم من النقد المستمر، والمراجعة الدائمة للحركة وتاريخها، ونتائجها من أجل تطويرها المستمر.

لا يمكن فهم الحركة النسوية دون تسليط الضوء على مصطلح «النوع الاجتماعي»، وهو المفهوم المركزي للحركة النسوية، ويشير مصطلح النوع الاجتماعي إلى مجموعة الصفات والوظائف التي يسندها المجتمع إلى شخص ذي جنس بعينه، بينما النوع هو الخصائص البيولوجية التي يولد بها الإنسان، فيوضع الاثنان في مقابلة. فبينما يعد «الجنس» طبيعياً عند النسويات، يعد «النوع الاجتماعي» «ثقافيا». تتمحور معظم نقاشات الحركة النسوية حول مفهوم الدور الاجتماعي، وتعود دعوة النساء إلى المساواة بالرجل، وإسناد مهام الرجل إلى المرأة، ومحاولة إثبات أنَّ المرأة قادرة على أداء المهام التي يؤديها الرجل إلى تصور مؤداه أن الدور الاجتماعي الذي يؤديه الرجل أفضل من ذلك الدور الذي تؤديه المرأة، وتسليم من النسويات بأفضلية مكانته، مما قلل في الواقع من شأن المرأة، وأدى إلى سحب المرأة إلى مساحة الرجل، فيما لم يتجه الرجل لمساحة المرأة. يعني ذلك أنه ما كان يجب أن تتمثل مطالب الحركة النسوية في رفض المرأة لدورها، وإنما بضرورة اكتساب الرجل بعض الأدوار الاجتماعية للمرأة، مثل المعاونة في تربية الأطفال، ولا يعني هذا النقد بالتأكيد أن هذه المطالب دون فائدة، لكنه يعني أنها ربما كانت قاصرة في رؤيتها حتى الآن.

ضم كتاب الحركة النسوية نقدا شديدا للتيار النسوى السائد الآن، ودعا لقيام عمل نسوي أفضل، لا سيما أن الحركات النسائية التي يتبناها البيض،لا تلقي اهتماما كافيا بالقضايا والاهتمامات المشتركة للنساء ككل، وما زلن يتجاهلن الاحتياجات الأساسية للنساء الملونات، والفقيرات،كما تؤكد أن الحركات النسائية للبيض،تركز فقط على احتلال مكانة إلى جانب الرجال، وترى أنه من المؤلم أن الأشخاص الذين من المفترض أن يكونوا حلفاءك،هم من قد يضطهدوك على صعيد آخر.

ترى الكاتبة أن الحركة النسوية السائدة الآن لا تلبي الاحتياجات الأساسية للقضايا النسائية الحقيقية مثل، قضايا الأمن الغذائي، والحصول على تعليم جيِّد، والحياة الآمنة، والأجور العادلة، والرعاية الطبية، بل وأحيانا كثيرة قضايا البقاء للكثير من النساء، وتتهم الكاتبة بعض النساء البارزات بقصر النظر فيما يتعلق بقضايا العرق والطبقة، والتعامل مع النوع، مؤكدة أنَّ الحركات النسائية لن تؤتي ثمارا طالما لم تتضامن جميع النساء، وطالما كان هناك احتمال أن تقمع بعض النساء نساء أخريات على خلفية التمييز العنصري أو الطبقي. تلجأ كثير من النساء لتبني خيارات فوضوية، وقد تكون غير قانونية لمجرد البقاء على قيد الحياة بسبب الفقر،لأنه لا يمكنك «الاتكاء، والراحة» عندما لا يمكنك كسب أجر معيشي عادل، ومازلت بحاجة لإطعام نفسك، وإطعام أولئك

الذين يعتمدون عليك، وغالباً ما يتم ازدراؤهن من حركات النساء الميسورات ماليا، والمتميزات اجتماعيا، واللائي قد يعملن لصالح الأطفال، بينما هي ترى أن التخفيف من وطأة الفقر للآباء، والأمهات ذوي الدخول المنخفضة، يجب أن يكون قضية نسوية أولية؛ إذ إن عدم كفاية الأجور وانعدام الأمن الغذائي،وظروف المعيشة غير الميسورة، وغير الآمنة، وسوء الرعاية الصحية والتعليم،هي ظروف تواجهها ملايين النساء وأطفالهن، ولا يخص الأمر بعض البلدان دون غيرها، إنما هو أمر عام.

ووجهت جائحة كوفيد-١٩ نظر الجميع إلى أن العمل إما سيكون نادرا، أو محفوفا بالمخاطر،لا سيما بالنسبة للعاملين في الوظائف الأساسية مثل خدمات الطعام، وتوصيل الطرود، ورعاية المسنين، والرعاية الصحية، مما قد يؤثر بنسب متفاوتة على الأسر ذات الدخل المنخفض. فقد تحتاج الأسرة التي لديها ثلاثة أطفال وأحد الوالدين العاملين إلى أربعة أجهزة حتى يتمكن الأطفال من مواصلة تعليمهم عن بعد، بينما يعمل الوالد من المنزل، حتى لو وفر مكان العمل أو الدراسة والأجهزة، فإنَّ الملايين سيحتاجون إلى شبكة إنترنت في المنزل احتياجاً لايقل عن الماء والكهرباء، الأمر الذي يحتاج دعماً حكومياً لم يتحقق بعد في العديد من الدول.

تتساءل الكاتبة مرارا وتكرارا عن سبب تجاهل الاحتياجات الأساسية للعديد من النساء، وإلقاء اللوم على النساء المحتاجات في محنتهن، وترى الكاتبة أن «الجوع» الحقيقي يثير اليأس لدى النساء ويؤدي بهن إلى اختيارات غير مفهومة؛ فكيندال نفسها لجأت للالتحاق بالجيش لدفع تكاليف دراستها، وربت ابنها الصغير في إسكان عام،على كوبونات الطعام، والرعاية الطبية المقدمة من الدولة، وترى أن شبكة الأمان الاجتماعي باتت تتراجع في عديد من المجالات.

نستنتج أن ما ينقص التيار النسوي السائد ليس الوسائل، والإرادة، والقيادة، والسياسات الصحيحة، بل التعاطف تجاه النساء الفقيرات والملونات في جميع المجالات. تستشهد «كيندال» بدراسة نشرت عام ٢٠١٧، في «مجلة الجامعيات» تؤكد أن البيض يقدمن مساعدة أقل لضحايا الاعتداء من السود لأنهن «يشعرن بمسؤولية شخصية أقل تجاههن»، وأنهن لا يبدين أي تعاطف معهن بل لا ينظرن إليهن كبشر لهن حق الرعاية والحماية، هذا الموضوع هو أحد أكثر الاهتمامات الأخلاقية إلحاحًا في عصرنا.

نجح الكتاب في استخلاص نتيجة حتمية مفادها أن النساء الفقيرات، ونساء الطبقة العاملة، ولا سيما النساء الملونات يعشن حياة مختلفة تماماً في أمريكا عن حياة نظرائهن الأكثر ثراء وذوي البشرة البيضاء، ولا يستطعن شراء كثير من المنتجات الأساسية الخاصة بهن، أو تلبية التزامات تعليم أبنائهن افتراضيًا. وترى الكاتبة أنَّه سيكون أمراً جيداً أن يفتح حلفاء النسوية الباب لأصوات أخرى وأن يسمحوا لآخرين بجذب الانتباه الذي يحتاجه إنجاز عملهن. وعلى التيار النسوى ألا يتعامل مع المساحة التي يأخذها الملونون على أنها منحة منهم، يجب أن تتعلم الفتيات اللواتي يعملن

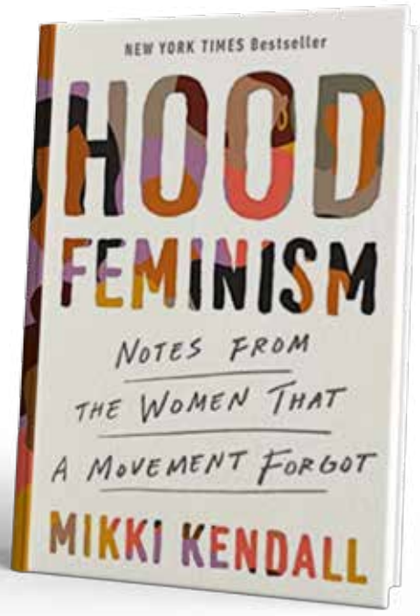

بجهد مضاعف أن لهن الحق في الحصول على قدر متساوٍ من الحياة.

تؤكد كيندال على المُعاناة المزدوجة للنساء ذوات البشرة الملونة؛ لأنَّ المجتمع قد يكون أبويا وعنصريا في آن واحد. كذلك تتعرض النساء المسلمات لنوع آخر من الاضطهاد،حيث ينظر الغربيون بشكل عام إلى الحجاب باعتباره مظهرًا من مظاهر اضطهاد المرأة وقهر الرجل لها، وأنهم لا يفهمون كيف أن كثيرًا من النساء المسلمات يرتدينه بمحض إرادتهن.يمثل الحجاب إشكالًا مزدوجًا بالنسبة للنسوية في الغرب، فهو يطرح التساؤل من جهة ما إذا كان واجبًا على النسويات نقده باعتباره واحدًا من آليات القمع الذكورية، أم عليهن تقبله باعتباره واحدًا من أبعاد الوجود الأنثوي المختلف لثقافة مغايرة مما يجعل من الضرورة أن تتطلع النسوية لأن تشمل تجارب جميع النساء مؤكدة على فكرة «تضامن النساء البيض».

يحمل تاريخ نضال النسويات قدرًا كبيرًا من المعارضة للنظام الرأسمالي الذي استغلهن، بتكريس أدوار اجتماعية معينة لهن، من خلال استغلال صورة الجسد للفت الانتباه لسلعة معينة في الإعلانات، مما أدى بالضرورة إلى تقاطع النضال النسوي مع النضال ضد الرأسمالية في حالات كثيرة، إلى حد تصنيف بعض الباحثين الموجة الثانية من الحركة النسوية بتسميتها «موجة ماركسية».

تركز الأطروحة المركزية لكتاب «الحركة النسوية» على أن الحركة النسوية السائدة في الولايات المتحدة لم تكن شاملة على الإطلاق، على الرغم من كونها «حركة تستمد الكثير من قوتها من الادعاء بأنها تمثل أكثر من نصف سكان العالم». كشفت كيندال فشل النسوية في التوسع في القضايا المؤثرة على الحياة اليومية للملايين النساء مثل العنف المسلح، والجوع، والفقر، والتعليم، والإسكان، وبقاء الصورة النمطية عن العرق والطبقة.

ركزت الكاتبة بشكل كبير على تجارب المهمشين ومعالجة القضايا التي تواجهها معظم النساء بدلا من التركيز على القضايا التي تهم قلة من النساء فقط كما هي الممارسات الشائعة الآن، لأن معالجة هذه القضايا مفتاح المساواة بين جميع النساء. وحتى تمثل النسوية جميع النساء حقا، يجب أن تتخلص من افتراض أن جميع النساء يعانين من نفس التحديات، وتركز كيندال على فكرة «التقاطع» وهو مصطلح صاغه البروفيسور«كيمبرلي وليامز» ليعكس كيف يتحد العرق والجنس على النساء السود، ليعبر عن كيفية أداء الهويات المتعددة بالضرورة إلى تجارب وأولويات مختلفة.

تشدد كيندال على ضرورة توسيع نطاق ما يعتبر قضايا نسوية. على سبيل المثال، تتأثر النساء بشكل غير متناسب بعدم الاستقرار في السكن، لذلك «لا تستطيع الحركة النسائية أن تترك أي امرأة وراءها، سواء من ذوات الاحتياجات الخاصة، أو حتى من الجانحين، ويجب التعامل مع سكنهن كأولوية من قبل كل شخص أو منظمة تدافع عن حقوق المرأة».

تفتقر الحركة النسوية إلى التضامن الحقيقي، في حين أن من أهم أعمال المنظمات النسائية أن تدافع عن حقوق جميع النساء على أساس العدالة العرقية؛ ففي حين ترفع النسوية شعار معارضة العنف ضد المرأة، لم تحرك تلك المنظمات ساكنا تجاه تعرض بعض الفتيات السود للعنف في مدارسهن، كما فشلت في مهمتها لمكافحة وفيات الأمهات من السود بسبب الفقر والجوع.

تضع كيندال طريقة للوصول إلى نسوية أكثر شمولاً وتقاطعًا، رغم اعترافها أن المسار سيكون صعبًا، وتؤكد أن «التضامن النسوي الحقيقي عبر الخطوط العرقية يعني الاستعداد لحماية بعضنا البعض، والتحدث عندما لا تكون النساء المفقودات من مجتمعك، واستدعاء الطرق التي يمكن أن تمنع العنف المفترس أن يمتد إلى مجتمعات متعددة». سيتطلب ذلك عملاً جادًا، لكنه عمل يجب أن يلتزم به كل من ينسب نفسه للنسويات. تقتبس كيندال من الشاعر جويندولين بروكس: «نحن حصاد بعضنا البعض ؛ نحن نتاج عمل بعضنا البعض». الكتاب له أهمية كبيرة لكل من يؤمن بالمساواة الفطرية بين جميع الأجناس، ويعتقد أن التضامن بين المجتمع النسائي هو عنصر رئيس في العالم الذي تريد أن يعيش فيه.

· الكتاب: الحركة النسوية: ملاحظات من النساء اللائي تجاهلتهن الحركة

· المؤلف: ميكي كيندال-

· الناشر: بنجوين - الولايات المتحدة الأمريكية- 2020

*** كاتبة وباحثة مصرية**

لغة خارج مكانها: الاستشراق، المخابرات واللغة العربيّة في إسرائيل

يونتان ماندل

أحمد أشقر *

في شهر تموز ٢٠١٨ سنّ «الكنيست» الإسرائيلي (البرلمان) قانون القومية اليهودية، وبموجبه اعتُبرت أرض إسرائيل هي الوطن التاريخي لليهود، و«دولة إسرائيل دولة للشعب اليهودي حصراً»، أي أنه صادر حقّ مواطنة العرب في إسرائيل، كما أنه صادر المنطقة الممتدة من الشواطئ الغربية للبحر المتوسط إلى تخوم الأنبار العراقية، معتبراً إياها «الوطن التاريخي للشعب اليهودي». هذا معناه اعتبار العرب الذين يعيشون فيها (جوييم)، أي سكاناً دون حقوق مواطنة تُذكر. وعمل القانون على تجريد اللغة العربيّة من صفتها الرسميّة التي كانت سارية في فلسطين، إلى جانب العبريّة والإنجليزية، منذ الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢ إلى تاريخ سنّ القانون سنة ٢٠١٨. وأكد قانون القومية اليهودية أن «اللغة العبرية هي لغة الدولة، وأن «اللغة العربية لها مكانة خاصة في الدولة، وتنظيم استعمال اللغة العربية في المؤسسات الرسمية أو في التوجه إليها يكون بموجب القانون». ويمكن القول إن السيطرة على الأرض وإقصاء أصحابها منها وتجريدهم من استخدام لغتهم الأم بحريّة هو تكثيف للمشروع الصهيوني الاستعماري وخطر وجودي على الشعب العربي في فلسطين.

يبحث الكتاب الذي بين أيدينا في تاريخ تدريس اللغة العربية وأسباب تدهور مكانتها في سياق الصراع على الأرض أثناء الحروب ومحطات التوتر و'الانفراج' المختلفة في فلسطين خلال القرن الأخير. ويتكون من مقدمة وستة فصول وخاتمة.

تستعرض المقدمة معطيات هامة حول معرفة اليهود بالعربيّة وفقاً لاستطلاع شمل ٥٠٠ يهودياً شارك الباحث (ماندل) بإعداده سنة ٢٠١٥ فيقول إن ٩,٨٪ من المُستطلعين قالوا إن معرفتهم باللغة العربيّة عالية؛ و٦,٨٪ قالوا إن بإمكانهم التعرف على الأحرف العربيّة؛ وبإمكان ٢,٦٪ منهم قراءة نصّ قصير باللغة العربيّة؛ وبإمكان ١,٤٪ منهم كتابة رسالة إلكترونية قصيرة باللغة العربيّة وفقط ١٪ يجيدون قراءة كتاب باللغة العربية. ويضيف أن «محو» العربيّة يجب أن يكون مقلقاً أكثر من محو لغات مثل الألمانيّة، الروسية، اليديش (العبرية الألمانية) واللادينو (العبرية الإسبانية) الذي حدث في سنوات الكيان الأولى، لأن اللغة العربية هي لغة التواصل في مناطق كثيرة في العالم وأقربها إلى اللغة العبرية، كما أنها لغة عرب البلاد (ص ١١- ٢٠).

يبدأ الفصل الأول- عندما التقى كل من الصهيونية والعربيّة، في البحث عن العلاقات بين اليهود واللغة العربيّة التي دام مجدها بين يهود المشرق وظلت لغة الثقافة والفكر واللاهوت والطقوس اليهودية مدة ثمانية قرون، من القرن السابع إلى الخامس عشر. في تلك الفترة كانت اللغة العربيّة هي اللغة الأم عند يهود المشرق وتطوّرت بينهم بصيغة لا تزال تدعى بالعربيّة- العبريّة، أي لغة عربية بأحرف عبرية مع ملاءمتها للغة العبرية التي تشتمل على ٢٢ حرفاً وعشر حركات، وقد كتب اليهود نحو ٩٠٪ من إنتاجهم المذكور حتى القرن التاسع عشر بالعربيّة-العبريّة.

حدثت أول مواجهة بين المهاجرين اليهود من الأندلس والعربيّة في فلسطين نهاية القرن الخامس عشر، حين اعتبر الأندلسيون اليهود أنهم ولغتهم أرقى من يهود فلسطين الذين نُعتوا من قبلهم بـ«المستعربين». أما الصراع الحقيقي ضدّ اللغة العربيّة فبدأ مع بداية المشروع الصهيوني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مع ازدياد أعداد المُستعمرين اليهود من أوروبا الشرقية التي كانت لغتهم الـ(ييديش). وتم التعبير عنه بإقامة مؤسسات حديثة لتدريس العربيّة وأهمها (المدرسة العلمية في حيفا) سنة ١٩١٣، و(معهد أبحاث الشرق) في الجامعة العبرية سنة ١٩٢٦ الذي يواصل نشاطه بصيغ مختلفة إلى يومنا الراهن. اعتمد هذان المركزان للدراسات الشرقية المنهج الفيلولوجي «اللاتيني» لتدريس العربية، الذي اعتبر العربية لغة ميتة مثل اللاتينية وتعامل معها عبر منهج فقه اللغة والنقل من العبرية للعربية والعكس، لدرجة أن قواعد النحو والصرف ومصطلحات مثل الفعل والفاعل والمفعول به وأحرف الجرّ كتبت بالأحرف اللاتينية والمصطلحات الوافدة من الألمانيّة، وتمّ تدريسها باللغة العبريّة من قبل أساتذة لا يجيدون الحديث والكتابة بها. وبعد الاحتلال والنكبة اعتُبر هذا المنهج غير مجدٍ للحركة الصهيونية فعملت على إدخال اللغة العربيّة ضمن المناهج والسياقات الأمنية والعسكرية (ص ٢١- ٥٩). أثر المنهج اللاتيني على عدد لا بأس به من الطلبة العرب الذين بدأوا أو درسوا العربيّة في الجامعة العبرية تحديداً حين وجدوا أنفسهم أمام منهج دخيل من الصعب التأقلم معه. لذا انتقل بعضهم بعد فشله في مادة النحو والصرف لمواصلة الدراسة في جامعة حيفا لأنها الجامعة الإسرائيلية الوحيدة التي تُدرس العربيّة بالعربيّة وليست كبقية الجامعات التي تدرسها بالعبرية. ولا أزال أذكر زملائي من طلبة وأساتذة يؤكدون على أن قدرة الطلبة اليهود بالنحو والصرف والترجمة للعبرية أفضل من الطلبة العرب إلا أن مقدرتهم على كتابة النصوص العربيّة محدودة. كما شكل هذا المنهج امتعاضاً عند الطلبة العرب- المُسلمين أثناء دراستهم القرآن من قبل أساتذة لا يجيدون قراءة الآيات بصورة صحيحة، أو مُدرّسة القرآن التي كانت ترقص في النوادي الليليّة في حيفا 'لمتعتها'. نذكر هنا أن العلّامة بالعبرية والعربيّة الجنرال احتياط (يهوشوع بلاو) كان مترجم السادات أثناء زيارته القدس سنة ١٩٧٧.

يبدأ الفصل الثاني- لغة أجنبيّة ثانية: العربية في المدارس اليهودية في إسرائيل، ١٩٤٨- ١٩٦٧ بمحاولة لفهم أسباب إبقاء الدولة على العربية كلغة رسمية إلى جانب العبرية والإنجليزية كما أقرّ ذلك الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٢. فينقل عن باحثين سابقين أسباباً مثل عدم إغضاب الرأي العام الدولي بعد التهجير والنكبة والتوجه الليبرالي للدولة. ويشدد الباحث (ماندل) أن إبقاء لغتين رسميتين في دولة واحدة من شأنه أن يُعمق الفُرقة والخلافات بينهما. في هذه الفترة سيطرت القوى الاستخباراتية للعصابات اليهودية على تدريس العربيّة بالمنهج اللاتيني. وبعد النكبة بدأ تقليص تدريس اللغة العربية لأنها لا تثير اهتمام اليهود وباتت الإنجليزية أكثر أهميّة منها. سار هذا التقليص في مسار موازٍ بإدخالها ضمن الاهتمامات والاستحقاقات الأمنية والاستخباراتية والعسكرية تحت عنوان شبه رسمي: اعرف عدوك في أطر تعليمية «استشراقية». وفي أيار ١٩٦٧ تم التنازل عن التسمية الاستشراقية وحلّت مكانها «خمس وحدات في العربيّة» وهي أعلى مستوى تدريس للغة العربية في المرحلة

الثانويّة اليهودية. ويخلص الباحث (ماندل) بالقول: «ارتبطت العربيّة «تدريسها» بالاحتياجات الأمنيّة لدولة إسرائيل. لم تُستخدم للتقارب بين اليهود والعرب أو بين اليهودي «الشرقي» وثقافته العربيّة، بل على العكس تماماً: بإبعاد اليهود عن العرب والمنطقة» (ص ٦٠- ١٠٧). بعد احتلال الجزء الثاني من فلسطين، سيناء والجولان، تنبهت القوى الأمنيّة والسياسية في الكيان لأهمية اللغة العربية. وهذا ما يناقشه (ماندل) في الفصل الثالث- بدأوا معركة: تدريس العربيّة في إسرائيل في ظل حربيّ- ١٩٦٧، ١٩٧٣ وإسقاطاتها فيقول بعد عشرين يوماً من انتهاء الحرب، في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٧، أرسلت وزارة التربيّة والتعليم تعميماً إلى المدارس اليهوديّة تطلب منها تدريس العربيّة فيها. بسبب نشوة الانتصار في الحرب أقبل كثيرون على دراسة اللغة العربيّة «اعتقاداً منهم بمستقبل زاهر». في هذه الفترة صار الثلاثي: الوزارة، والجامعات، والاستخبارات العسكرية وحدة واحدة في نشر وتحسين تدريس اللغة العربيّة لأن الجيش والاستخبارات باتا بحاجة إلى ضباط وموظفين، وجواسيس ومخبرين لحكم سكان الأرض المحتلة حديثاً وضبطهم. بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي اعتبرها اليهود هزيمة نكراء زاد الاهتمام بالعربيّة وبات أكثر إلحاحاً إلى درجة أن لجنة التحقيق «أجرانات» التي شكلتها الحكومة لفحص هزيمة الجيش أشارت إلى أن «معرفة العربيّة بين أوساط استخباراتية رفيعة المُستوى لم تكن كافية» لذا عملوا على إقامة وحدات استخباراتية مختلفة بلهجات مختلفة ودمجها في الوحدة ٨٢٠٠، المعروفة بوحدة التجسس الإلكتروني (SIGINT). خلال هذه الفترة أصبح الطلب عاليّاً جداً على اليهود الشرقيين للعمل في أجهزة المخابرات المختلفة (ص ١٠٨- ١٣٥).

يشرح الفصل الرابع- «لغة الأمن ولغة السلام»: تدريس العربيّة في سنوات ١٩٧٦- ١٩٨٦ أسباب تحول تدريس العربيّة إلى لغة الأمن والسلام. فيبدأ تأريخها من لجنة (بيامينتا) التي شكلتها الحكومة من خبراء التربية والتعليم والاستخبارات العسكرية للبحث في تطوير تدريس العربيّة. قدمت هذه اللجنة توصيات بمصطلحات مدنيّة من مشتقات «التعايش المُشترك بسلام». يقول الباحث إن التوصيات جاءت في سياق أمني يدمج السلمي والأمني معاً. تعززت هذه النزعة مع توقيع مصر والكيان اتفاقية «كامب ديفيد» سنة ١٩٧٨ حينها أخذت هذه النزعة بعداً جديداً عندما تمّ تعيين رئيس الدولة السابق، (يتسحاق نافون)، وزيراً للتربية والتعليم سنة ١٩٨٤. (نافون) الذي كان جندياً واستخباراتياً ومدرساً للغة العربيّة شكل لجنة لفحص وتطوير تدريس العربيّة. فعيّن الجنرال احتياط (نيسيم عتسمون) الذي كان يدير كلية الجيش لتدريس العربيّة. من الوثائق التي يعرضها ويحللها الباحث يتضح أن النقاشات بين الأمنيين والمدنيين كانت حادة إلا أنها لم تتمكن من إخراج تدريسها إلى الحيّز المدني الصرف فبقيت أسيرة مسار الأمن والسلام (ص ١٣٦- ١٦٩). في هذه الفترة أقبل يهود كُثُر على تعلم العربيّة في المدارس والجامعات. أثناء دراستي الجامعية في تلك الفترة وتجوالي

بين المكتبات الجامعية للبحث عن مصادر لكتاباتي وأبحاثي صادفت طلبة يهوداً يدرسون العربيّة فعندما كانوا يتأكدون من هويتي القومية أو هويّة زملائي توجهوا إلينا بسؤال عن معنى كلمة أو ترجمة جملة ما. وبعد سنوات علمنا أن بعضهم أصبحوا ضباطاً في الإدارة المدنية في الضفة وغزة. ولا أزال أذكر أن ضابط المخفر في الجولان المحتل الذي تمّ توقيفي فيه في تلك الفترة كان «زميلي» في مساق (فصول مختارة من تاريخ الإسلام) في الجامعة. في تلك الفترة سافرت نساء يهوديات إلى القاهرة لدراسة العربيّة وقد أنشأت إحداهن سنة ٢٠٠٠ «دار أندلس للترجمة والنشر».

في الفصل الخامس- هل هناك احتمال لعربيّة أخرى؟ تدريس العربيّة خارج جهاز التربيّة: جفعات حبيبه وكليّة عكيفا، يكشف (ماندل) عن تعاون وثيق وشائك جداً بين مركزي (جفعات حبيبه) و(أولبان عكيفا)- من جهة؛ وجهاز الاستخبارات والجيش- من جهة أخرى؛ في تدريس العربيّة لأهداف أمنيّة واستخباراتية، خاصة إذا علمنا أن مركزي (جفعات حبيبه) و(أُلبان عكيفا) أقيما من أجل التعايش المشترك ويعملان على تنظيم لقاءات بين عرب ويهود لهذا الغرض. من الوثائق والمقابلات المختلفة التي يعرضها ويحللها الباحث يتضح أن الذي رسم وحدد سياق التدريس فيهما هو السياق الأمني- العسكري العام لتدريس العربية في الكيان والدعم المالي الذي تقدمه لهما الاستخبارات والجيش (ص ١٧٠- ٢٠٣). كي نفهم أهمية (جفعات حبيبه) للاستخبارات والجيش يجب أن نشير إلى مكان تواجدها في وادي عارة على بعد أقل من كيلومتر هوائي من الخطّ الأخضر الذي يفصل حدود الكيان عن الضفة الغربيّة، ولها تعاون وثيق مع أهالي هذه المنطقة إلى درجة أن بعض قرى المنطقة كانت تعتبر في سبعينيات القرن الماضي دفيئات لتعليم العربيّة للمخابرات والجيش والجواسيس، وتخرج منها بعض السياسيين العرب في الماضي، كما برز بعض خريجيها من الرجال والنساء كمرشحين وداعمين لأحزاب صهيونية في (انتخابات الكنيست) التي جرت في ٢٣ آذار ٢٠٢١. وسمعتها بين الوطنيين من عرب ٤٨ سيئة.

الفصل الأخير، السادس- من يريد تعلّم العربيّة؟ سياقات تربويّة واستخباراتية في القرن الحادي والعشرين، يُغطي الفترة من ثمانينيات القرن الماضي إلى اليوم ويُؤكد أن السياقات الأمنية والاستخباراتية لا تزال تتحكم بتدريس العربيّة ويقول (أيضاً) إن نصوصاً عن تصفية عباس موسوي وأبو جهاد ويحيي عيّاش تُدرس في المدارس، وإن العرب والمُسلمين كلهم أعداء بنفس المستوى إذ «لا فرق بين إيران والعراق وداعش». وينقل عن أحد مدرسي العربيّة اليهود قوله «يبدو أننا تأخرنا: صعب جداً تغيير مسار السفينة» (ص ٢٠٤- ٢٢١).

تصرّ إسرائيل على اعتبار العربيّة لغة العدو وتدريسها في السياقات العسكرية والاستخباراتية رغم أنّها تعيش في فترة مليئة بالتحولات الإقليمية مثل اتفاقيات أوسلو ووادي عربة والعلاقات مع الخليج، تُعتبر «انفراجاً» بالنسبة لإسرائيل. ويخلص المؤلف في الخاتمة إلى القول إن تدريس العربيّة كما تدريس اللغة اللاتينية في السياق الأمني كان «تراجيديّاً». فبدل أن تقرّب العربيّة بين العرب واليهود باعدت بينهم وزرعت الشكوك بين العرب واليهود الذين يجيدون العربيّة ويعتبرهم العرب مخابرات وجواسيس. أنتج هذا المسار ما يسمى «لغة عربيّة إسرائيلية» قاموسها ومعجمها يقتصران على المصطلحات الأمنيّة والسياسية فقط (ص ٢٢٣- ٢٣٠). نفهم مما تقدم أن إسرائيل لا تريد سلاماً أو انفراجاً حقيقياً مع العرب. إن حصار العرب في قراهم، ووجود اليهود في مستعمراتهم وهم لا يجيدون لغة «جيرانهم» العرب ويعتبرونهم أعداءً، ليسهل على اليهود قمع العرب متى شاء الكيان، وهذا ما يحدث دائماً. وعملت إسرائيل كذلك على سلخ اليهود الشرقيين عن العربيّة، لغتهم الأمّ، باعتبارها لغة أعدائهم وحَشَتْهم بفكر استعلائي على الحضارة العربيّة إلى أن باتوا يدعمون أكثر الأحزاب والحركات السياسيّة يمينيّة في الكيان.

· الكتاب: لغة خارج مكانها: الاستشراق، المخابرات واللغة العربيّة في إسرائيل

· المؤلف: يونتان ماندل

· الناشر: معهد فان لير والكيبوتس الموّحد، سنة 2020،

· عدد الصفحات: 282 صفحة

· اللغة: العبرية

* باحث في الدراسات الدينية ومترجم من فلسطين

الصورة والحجة في جمهورية أفلاطون
مارينا بيرزينس ماكوي

وليد العبري *

على الرغم من أن أفلاطون معروف منذ فترة طويلة بأنه ناقد للخيال وحدوده، تستكشف مارينا بيرزينس ماكوي إلى أي مدى تلعب الصور أيضاً دوراً مهماً وايجابياً في حجة أفلاطون الفلسفية. تبدأ بفحص السياق التربوي الشعري الذي يكتب فيه أفلاطون، ثم تنتقل إلى الخطوط الرئيسية للجدل، وكيف أنها تعتمد على مجموعة متنوعة من استخدامات الخيال، بما في ذلك النماذج والمقارنات والأساطير.

تأخذ ماكوي الطبيعة المتناقضة للصور الميتافيزيقية الرئيسية، مثل الخط المقسم والكهف من ناحية. يُشير الكهف والخط المنقسم صراحةً إلى مشاكل الصور والعالم المرئي. من ناحية أخرى فهي صور مصممة لجذب القارئ إلى فهم فكري أكبر. يُعطي المؤلف قراءة منظورية، بحجة أن الكائن البشري يقع دائما بين تعالي الوجود، وحدود المنظور الإنساني. يمكن للصور أن تُعزز قدرتنا على الرؤية فكريا، وكذلك لإعادة تصور أنفسنا مقابل الخالد والأبد. من خلال الانخراط في مجموعة واسعة من المنح الدراسية القارية، والدرامية، والأنجلو أمريكية حول الصور في أفلاطون، تفحص ماكوي معالجة الكوميديا والأنظمة المنحلة وطبيعة المحاكاة، وطبيعة الحوار الأفلاطوني نفسه.

جمهورية أفلاطون تُزخر بالصور. يبدأ الحوار بكلمات سقراط «نزلت أمس إلى بيرايوس». تزخر لغة جمهورية لاتو هذه بالصور. يبدأ الحوار مع نزول سقراط إلى تذكيرنا بانحدار أوديسيوس إلى الهاوية في ملحمة هوميروس، وبتقليد شعر الخطابات بشكل عام. تمثل الحجة الرئيسية للحوار الروحي في المدينة، والتي يتم تخيلها بشكل واضح عن أي مدينة حقيقية ملموسة. في منتصف الحوار، يصف سقراط الأشكال من حيث الشمس والخط المنقسم. يتم تحرير الفيلسوف من قيوده في كهف ويجبر على تسلق طريق وعر لاكتشاف العالم الخارجي، ثم ينزل مرة أخرى للحكم. ويختتم الكتاب بأسطورة عير، التي تتحدث عن أرواح صاعدة ونازلة. خلال الحوارهناك العديد من الاستشهادات الشعرية من هوميروس وسيمونيدس وإسخيلوس وبندار، وإشارات إلى الكوميديا. حتى الحوار الأفلاطوني نفسه هو صورة لسقراط وأصدقائه مجتمعين معا ويناقشون طبيعة العدالة، وهو نقاش لم يحدث إلا في خيال أفلاطون وقرائه.

في الوقت نفسه، ينتقد سقراط بشدة الصور في نقاط عديدة في الجمهورية. إنه يمزق تقليد هوميروس في التعليم الشعري؛ يجادل بأن تقليد الرجال السيئين مُدمر أخلاقياً؛ يشرح أن الصور الفنية والشعرية أُزيلت من الحقيقة ثلاث مرات؛ ويضع الصور في أدنى قسم من الخط المقسم، على عكس الضوضاء والاستدلال الافتراضي. ينتقد سقراط التقليد بشكل عام، بل إنه يُزيل الشعر من المدينة المثالية. ومع ذلك، تُعتبر الصور أساسية في الحجج داخل الحوار. قد نسأل، على سبيل المثال، ما هو الاختلاف الذي يحدثه أن يستخدم سقراط صورة للمدينة ك «نموذج» للروح، وكيف نفهم نتيجة ذلك استنتاجات سقراط حول العدالة. أو إذا كانت الصور هي شكل غير كاف من التعليم، فلماذا يستخدم سقراط صوراً أخرى لوصف الأشكال؟ لماذا القصص مثل الكذبة النبيلة أو أسطورة إير تشكل جزءاً من حجة سقراط؟ في حين أن بعض المعلقين جادلوا من أجل تفاعل أكثر تعقيداً بين الفلسفة والشعر في الحوار، يمكن قول المزيد حول كيفية عمل الصور كجزء من الجدل في الجمهورية.

من خلال فحص استخدام الصور في الحجج، يمكننا أن نتعلم بشكل أفضل كيف يتفلسف أفلاطون مع الصور، وبالتالي شيئا أكثر حول كيفية فهم أفلاطون للغة الفلسفية نفسها. بالنسبة لأفلاطون فإن الهدف من اللغة الفلسفية ليس مجرد خلق الواقع من خلال الكلمات، كما يفعل الشعراء ولا التلاعب بالواقع من أجل السلطة، كما يفعل السفسطائيون. بدلا من ذلك، تسعى اللغة الفلسفية إلى الكشف عن طبيعة الوجود في عملية البحث عنه. ومع ذلك، نظرا؛ لأن الوجود دائما يفوق قدرة البشر على فهم طبيعته ويتفادى ذلك جزئياً، يجب أن تعكس لغتنا بالمثل ذلك الإنسان.

الحوار ككل هو أيضا صورة بقدر ما يبني حوارا وهمياً بين مجموعة من الناس يتجاوز التبادل اللفظي ليشمل بيئة حية: ذكر الأجناس في أحد المهرجانات، وصف العبد الذي يسحب عباءة سقراط، المقعد الذي يجلس عليه سيفالوس وهكذا. إذا كان على المرء أن يقول إن الصور ليست فلسفية، ولا يمكن أن تكون فلسفية بشكل صحيح بالنسبة لأفلاطون، فإن الاستنتاج الغريب إلى حد ما الذي قد يصل إليه المرء، هو أن الجمهورية لا تظهر سقراط يمارس الفلسفة على الإطلاق. ومع ذلك فإن مثل هذا الاستنتاج غير مقبول. على سبيل المثال، لا تكتفي الجمهورية بإعداد قرائها لتولي الفلسفة من خلال تشجيع الرحلة الفلسفية عبر صورة الكهف، على سبيل الامتحان، على الرغم من أن هذا جزء من عملها. كما يقدم العديد من الادعاءات الإيجابية حول طبيعة العدالة في كل من المدينة والروح. لا يقدم سقراط الحجج التي تفكك الأفكار غير الكافية لمحاوريه في الكتاب الأول فحسب، بل يبني أيضاً نماذج إيجابية للروح العادلة والمدينة العادلة.

إن استخدامه للصور يشجع محاوريه على عيش حياة أفضل بشكل عملي وملموس. صورته لروح الطاغية، على سبيل المثال، تُساعد على المجادلة في الادعاء بأن الشخص العادل أكثر سعادة من الشخص الظالم، ويجعل حياة الطاغية تبدو غير جذابة على عكس حياة الشخص العادل. للخيال أيضاً قيمة معرفية، من حيث إن أسمى أشياء المعرفة - الأشكال - تتجاوز الصور، ولكن بشكل طبيعي، يجب على البشر الاعتماد على الصور من أجل فهم هذه الأشكال والتحدث عنها. هذا الحد من اللغة ليس مجرد سلبي، ولكن الصور الواضحة يمكن أن تُساعد البشر في التعرف على الأشكال. علاوة على ذلك، فإن العديد من صور سقراط في الكتب الوسطى تعلم محاوريه وقراء أفلاطون أن الصور غير كافية لفهم كل شيء عن الأشكال. وهذا الفهم لحدود الخيال هو بحد ذاته حاسم لكونك فيلسوفا، بقدر ما يكون نمو الفيلسوف في معرفة الذات وحدود الإنسان جزءا مما يميزه عن الشاعر.

يركز الاهتمام على كيفية تأثير الصور الموجودة في لغة مشتركة، سواء كانت شعريا أو فلسفيا أو «عاديا»، على كيفية تفكيرنا في طبيعة العدالة أو غيرها من السلع الأخلاقية والسياسية. تم العثور على صور هوميروس، وصور العديد من الشعراء التقليديين الآخرين، ناقصة لعجزها عن معالجة الادعاءات الأساسية حول طبيعة وقيمة العدالة. ومع ذلك، يطور أفلاطون صورا بديلة تدعي الكشف عن طبيعة العدالة وتوضيحها، مع تذكير جمهوره بحدود مزاعمه اللاحقة.

الخيال هو في الوقت نفسه سبب للجهل البشري أو الحد، ومصدر محتمل للتحرر. من الأفضل فهم الجمهورية على أنها وسيلة لتثقيف قرائها حول كيفية تخيل العدالة فلسفيا، بدلا من كونها خطة سياسية دقيقة للدولة. ترتيب حجج الكتاب على النحو التالي:

يبدأ الفصل الأول بانتقادات الشعر في الكتابين الثاني والثالث كسياق أكبر لفهم الحوار وحججه الأكثر تحديدا. تم استكشاف معالجة سقراط للشعر، وانتقاداته الأولية للتمثيل الصامت. أرى أن الاعتراضات الرئيسية على الشعر، في الكتابين الثاني والثالث موحدة حول مشكلة التربية الشعرية. من بين اهتماماته سلبية الجمهور، والفشل في إيصال إحساس خفي، والضرر الأخلاقي الناجم عن تقليد الشخصيات السيئة.

ومع ذلك، بينما يرغب سقراط في إزالة أنواع معينة من الشعر من المدينة، يجد أفلاطون كمؤلف طرقا لإعادة دمج عناصر معينة من الشعر في شكله الخاص من الكتابة. ومع ذلك، فإن أفلاطون يفعل ذلك بطرق تأخذ في الاعتبار هذه الأنواع من الانتقادات. على سبيل المثال، يقوم ببناء ميزات للحوار تشجع جمهوره على الانخراط في تأويل أكثر نقداً بدلاً من البقاء سلبياً. يشتمل الحوار الأفلاطوني أيضاً على كل من العناصر المروية والمحاكاة، لكن تقليده يطلب من الجمهور تقليد سقراط وطريقته في الحجة الفلسفية، وبالتالي تقوية ممارسة العقل بدلاً من إضعافها.

يفحص الفصل الثاني كيف أن الصور مركزية في الحجج التي قدمها سيفالوس وبوليمارخوس وسقراط. بدلا من رؤية الكتاب الأول على أنه يحتوي على ثلاثة تعريفات للعدالة التي دحضها سقراط بدوره، يتم فهم هذه الحجج بشكل أفضل على أنها سلسلة من نماذج العدالة. يستخدم صورا نموذجية، أي أنهما يقدمان أوصافا شفهية للعدالة، وتقدم صورة مبدعة لما تبدو عليه الحياة العادلة. لا يصر سقراط على الانتقال إلى مزيد من التجريد، ولكنه بدلا من ذلك يرد عليها بسلسلة من الاستجابات المضادة، التي تُساعد في نقلهم إلى فهم أفضل للعدالة. طريقته جدلية بمعنى أنه في حين أن وجهات نظرهم عن العدالة ليست كافية، فإن سقراط يستجيب من خلال توسيع نطاق العدالة، دون أن يرفض تماما بعض الأفكار التي أوضحتها هذه الأوصاف الأولية.

يفحص الفصل الثالث الجدل بين ثراسيميتش وسكوترز هنا، تعد الحجة النموذجية مرة أخرى أساسية في التبادل بين الرقمين. ومع ذلك، نظرا ؛لأن سقراط وثراسيميتش يتمتعان بقيم ومعتقدات مختلفة تماما، فإن هذا النهج في الحجة يثبت أنه غير فعال. الأمثلة النموذجية التي يعتمد عليها كل منهم لإظهار أن الحكام إما يهتمون أو لا يهتمون بمن يحكمونهم يظلون في صراع أساسي. لهذا السبب، يتخذ الجزء المتبقي من الحوار مقاربة مختلفة للحجة.

يستكشف هذا الفصل أيضا كيفية استخدام أفلاطون كمؤلف للصور على مستوى دراما الحوار. بالنسبة للامتحان التنافسي، فإن الإشارة إلى وفاة بوليمارخوس على يد الثلاثين، تدعو إلى مزيد من الاستكشاف للأسئلة حول العدالة من قبل قارئ أفلاطون. بينما سلبية الجمهور هي من بين انتقادات سقراط للشعر التقليدي، يطلب أفلاطون كمؤلف من جمهوره أن يُشارك بشكل نقدي وليس فقط المتلقين السلبيين لرسالته.

يتناول الفصل الرابع تشكيل جلوكون الجديد للتحدي الذي يمثله ثراسيميتش. يؤطر جلوكون المشكلة من خلال تقديم حجتين متعارضتين، في نوع من الديالكسيس، مع الرجل العادل والظالم على كلا الجانبين. يستمر الجدل فيما يتعلق بالصور، وعلى الأخص استخدام جلوكون للسرد في تقديم أسطورة حلقة الراعي، ومدينة سقراط - تشبيه الروح. يتناول الفصل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة من إنشاء الصور بدوره ويوضح كيف تُساهم الصور في المناقشة. على سبيل المثال، فإن السرد حول حلقة الراعي يدعو المستمع إلى زيادة معرفة الذات من خلال عملية التماثل والتعرف على الراعي. يستكشف الفصل أيضا

طبيعة تشبيه الروح والمدينة ويجادل بأنه خطابي وإرشادي في مقاربته.

يبدأ الفصل الخامس بفحص موجز لصورة المدينة «البسيطة» التي يقترحها سقراط. على الرغم من أن جلوكون يرفضها باعتبارها «مدينة الخنازير»، إلا أنني أجادل في الطبيعة بأن اعتراضه الرئيسي ليس على شبيهة بالحيوان، بل على اعتبار أنها مدينة نسائية بشكل مفرط وتفتقر إلى مكان للأنشطة الذكورية للحرب والشرف السياسي. ثم يبحث الفصل في كيفية فهم النماذج الرئيسية للعدالة في المدينة والروح كنماذج، بدلا من وصفها بدقة للعدالة نفسها. تساعدنا صور المدينة والروح على معرفة المزيد عن العدالة، تُظهر لغة سقراط حول عمليته أن هذه النماذج تهدف إلى إلقاء نظرة ثاقبة على طبيعة العدالة نفسها، وتشجيع مستمعيه على الرغبة في عيش حياة عادلة. يؤكد الاهتمام السقراطي بالمعرفة كبصيرة، حيث تُستخدم النماذج اللفظية لتشجيع المعرفة على أنها رؤية.

يفحص الفصل السادس «الموجات الثلاث» مع إيلاء اهتمام خاص لطبيعتها الكوميدية. يتم تقديم مقترحات سقراط على أنها هزلية وانتقادات جادة لمجتمعه. ومع ذلك، فبدلا من التوقف حيث ترتبط الكوميديا بالنقد، يدعونا الحوار أيضاً إلى التفكير في سبب وجود أفكار معينة مضحكة. وهو بالتالي يشجع شكلاً من أشكال النقد الذاتي الاجتماعي يهدف إلى مساعدة الدولة على رؤية حدودها، وإعادة تصور إمكانياتها الخاصة. يقدم الفصلان السابع والثامن تحليلاً مفصلاً لصور سقراط للشمس والخط المقسم والكهف. أنا أزعم أن التركيز الأساسي لسقراط في هذه الكتب ليس تقديماً ميتا فيزيقيا مفصلاً بقدر ما يساعد مستمعيه على تخيل الأشكال، وماذا يعني التعرف عليها. يتم استخدام الصور ليس فقط لأ ذها مفيدة من الناحية التربوية ولكن أيضاً لأن النماذج نفسها لا يمكن معرفتها إلا جزئيا ومنظوريا. سقراط يُقدم الصور المرئية صورة للمعرفة على أنها عملية فكرية، تكون فيها كائنات المعرفة مستقرة ودائمة، بينما يكون وصولنا إليها محدودا.

علاوة على ذلك، فإن القيمة المعرفية للصور معقدة. إنها أدنى عنصر في الخط المقسم، لكن الصور الواضحة يمكن أن توجهنا أيضاً إلى النماذج. صور سقراط للأشكال هي بحد ذاتها لوحات اختبار لمثل هذه الصور الواضحة. وبالتالي، فإن فكرة الشكل كـ «نظرة» (بالمعنى الحرفي للكلمة) تظل مهمة. تقدم صور الخطوط والشمس المقسمة وجهة نظر كلي العلم للأشكال والطرق الأخرى لمواجهة العالم. في المقابل تأخذ صورة الكهف منظور الفرد الذي يأتي للبحث عن الأشكال والتفكير فيها بمرور الوقت.

ينتقل الفصل التاسع أخيراً إلى الكُتب المتبقية، حيث يقدم سقراط مجموعة متنوعة من الصور عن مدن وأرواح غير كاملة. يقدم سقراط صورا للأنظمة الفاسدة وأرواحها المقابلة، وصورة روح الطاغية على وجه الخصوص. يروي أسطورة حول اتخاذ الخيارات ضمن قيود الضرورة في أسطورة إير. لا توضح هذه الصور طبيعة المدينة المثالية، ولكنها بدلا من ذلك تقدم طرقاً لوضع المفاهيم والاستجابة للعيش في مدن غير كاملة. يُشجع سقراط التفوق في المعرفة الذاتية وتطوير العدالة في روح المرء، أفضل الطرق للرد على العيش في نظام غير مثالي أو حتى فاسد. يتناول هذا الفصل أيضاً نقد التقليد في الكتاب العاشر ويجادل بأن مكانه المتأخر يقع بعناية. جمهور سقراط في وضع أفضل للتفكير في التمييز بين الصور الشعرية والفلسفية. على عكس الحرفي الإلهي الذي يمتلك المعرفة الكاملة، يحتل الفيلسوف موقعاً معرفياً متوسطا. الصور مفيدة عندما تساعدنا على النمو في فهم الوجود (الأشكال) ولكن هذه الصور محدودة. جزء من الممارسة الفلسفية الجيدة، هو التعرف على حدود الصور المستخدمة، من أجل الجدل واكتشاف المزيد حول الأشكال. أسطورة إير هي مثال على أسطورة تستكشف موضوعا يتجاوز المعرفة البشرية - الموت والحياة بعد الموت - من خلال معالجة الإنسان إلى الحقيقة والخير. المساحات الضيقة، مثل الحد الفاصل بين الحياة والغد، لا تصلح بسهولة لوصف دقيق. ومع ذلك، فإن الصور التي تُفهم على أنها صور تسمح لنا بمقابلة وتطوير روايات حول مثل هذه الجوانب المحددة للتجارب البشرية. يعكس الاستخدام الأفلاطوني للصور انخراطا أفلاطونيا مع الإنسان باعتباره بين الفاني والإلهي.

- الكتاب: الصورة والحجة في جمهورية أفلاطون
- المؤلف: مارينا بيرزينس ماكوي
- سنة النشر: 2021م
- اللغة: الإنجليزية
- الناشر: صني للطباعة
- عدد الصفحات: 356 صفحة

*** كاتب عُماني**

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: علم النفس الدافعي

المؤلف: هلويس ليريتي

الناشر: منشورات العلوم الإنسانية، فرنسا.

تاريخ النشر: 2021

عدد الصفحات: 272 صفحة

ما هي العوامل المُحددة لإرادتنا ورغبتنا وقدرتنا على تجاوز أنفسنا؟ ما هي الوصفة المُناسبة لتحفيز الطلاب أو فريق من الرياضيين أو الموظفين؟ اهتم حوالي عشرين من علماء النفس والصحفيين العلميين والأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع بمصادر التزامنا ونشر كلياتنا ومثابرتنا. كتاب ملهم وغني بالمعلومات وأساسي لفهم وتطوير دوافعنا، ومصدر للنجاح والتطور.

يفسرعلم نفس الدوافع لماذا ينخرط الطالب في المدرسة؟ ما الذي يجعل الرياضي يركض؟ لماذا ننخرط في عمل شاق؟ ما هي القوى التي توجه اختياراتنا، ومشترياتنا، وتصويتنا؟ إن الدافع الذي يتجذر منذ الطفولة هو ما يدفعنا إلى التصرف عندما لا يجبرنا أحد ولا أحد على القيام بذلك، ولكنه أيضًا ما يحفز الإرادة في قلب الصعوبات والملل. ضاعف البحث في العلوم الإنسانية النظريات والخبرات على مدى نصف قرن. إنه لا يقدم وصفة، وبطريقة ما، ولحسن الحظ، لكنه تمكن من فصل المكونات التي تصنع الفارق بدقة متزايدة: الشعور بالكفاءة الشخصية، والطريقة التي تتعامل بها مع أدائك المضاد، والتفاعل مع شخص موثوق به، والقدرة على تقرير المصير، والحاجة إلى الاعتراف ... الكثير من التحليلات والأدوات لتنقيح الفكر وتوجيه العمل والانفتاح على الأمل والمستقبل.

الكتاب: الأنثربولوجيا

المؤلف: إدوارد سابير / إعداد كريستيان بوديلو وبيير كلاكار

الناشر: مكتبة العلوم الإنسانية، فرنسا.

تاريخ النشر: 2021

عدد الصفحات: صفحة

بلا شك يعتبر إدوارد سابير أحد أهم علماء الأنثروبولوجيا في أوائل القرن العشرين. قبل وقت طويل من تطور الأنثروبولوجيا البنيوية، صاغ سابير فلسفة البنيوية ووضع الأسس لعلم السلوك العام. لأنَّ الفرد والمجتمع والثقافة والشخصية لا تنفصل، أسس سابير منهجية على مفترق الطرق بين علم الأعراق البشرية واللغويات، والتي تجمع بين مفاهيم وطرق الإثنولوجيا والتحليل النفسي، التي تبدو اليوم كبرنامج تنبئي للمهام التي تقع على عاتق الأنثروبولوجيا.

لم يكتب هذا المُتخصص في لغات وثقافات الأمريكيين الأصليين أي عمل شامل خلال حياته، باستثناء مجلد عن اللغة ومجموعة من الدراسات عن اللغات والثقافات الهندية في أمريكا الشمالية. بينما أعماله الحقيقية فهي تتشكل من المقالات المنشورة بين عامي 1917 و1938، والتي جمعها ديفيد ماندلباوم في عام 1949 تحت عنوان كتابات مختارة لإدوارد سابير في اللغة والثقافة والشخصية، ومجموعة مُختارة ترجمها إلى الفرنسية كريستيان بودلو وبيير كلينكوارت، تم نشره في مجلدين من طرف دار مينوي في عام 1967.

إنَّ المجلد الصادر مؤخرًا، هو إعادة إصدار هذا الاختيار الفرنسي الذي قدمه كريستيان بودلو في إصدار مينوي. لكن هذه النسخة تتميز بتقديم شامل مع ترجمة مصححة بالكامل، مصححة ومشروحة من قبل بيير كلينكوارت، مع ملحق يتضمن مقدمة غير منشورة لعالم الأنثروبولوجيا فرانسيس زيمرمان.

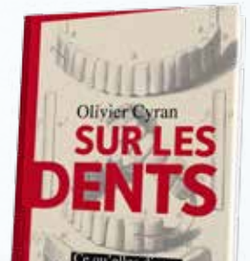

الكتاب: حول الأسنان: ماذا تقول عنَّا وعن الصراع الاجتماعي

المؤلف: إليفييه سيران

الناشر: منشورات لاديكوفيرت، فرنسا.

تاريخ النشر: 2021

عدد الصفحات: 296 صفحة

«ارني أسنانك، سأخبرك من أنت.» بهذا القول المأثور يفتتح الصحفي أوليفييه سييرانة كتابه الملهم. هذا الكتاب الصادر حديثاً موثق بشكل غني، مع لمسة من السخرية المازحة، وهو، ثمرة تحقيق غير عادي ومتعمق، حول هذا العضو الثمين الذي يُميزنا، ويكشفنا، ويخوننا، وأحيانًا يسبب لنا مُعاناة كبيرة. . من عصور ما قبل التاريخ إلى ممارسات طب الأسنان المتطور، ومن المشعوذين إلى المراكز الصحية المنخفضة التكلفة، ستتعرف على كل شيء عن تطور العلاج الذي يكرس عدم المساواة الاجتماعية.

ماذا تقول الأسنان عنَّا وماذا تكشف من أسرارنا وعن الصراع الاجتماعي لماذا نصر بهوس على ألم الأسنان؟ لماذا يُعاني الكثير منَّا من التكاليف الباهظة لعلاج الأسنان المريضة أو التالفة أو المفقودة، بينما من المفترض أن تكون رعاية الأسنان مجانية ومتاحة للجميع؟ ماذا عن النظام الذي يشجع أطباء الأسنان على التقليل من الرعاية «الآمنة» وإعطاء الأولوية للعلاجات ذات القيمة المضافة العالية؟ كيف يمكننا أن نعترف بأنَّ مصير هذا العضو الحيوي للغاية والغني يعتمد على مكانتنا في التسلسل الهرمي الاجتماعي؟ لا أحد يجهل أهمية الأسنان كأداة للمضغ، ومنطقة حميمة وبطاقة هوية وانتماء طبقي معروض أمام أعين العالم. ومع ذلك، لا تزال التفاوتات في الحصول على الرعاية الصحية سيئة للغاية، وهذا يحكم على ملايين الأشخاص بحياة ضامرة. حان الوقت للكشف عن هذا النظام ومنطقه ومصالحه، والمُطالبة ببعض المساءلة. مدفوعًا بخوفه من طبيب الأسنان، يستكشف المؤلف عالماً مألوفاً وغير معروف قليلاً، لا تتأصل موضوعاته إلا عندما نكتشف تحكم الأسنان في مصير الإنسان. يجمع الكتاب بين البحث والتاريخ والبحث عن الكنوز وجمع الشهادات والوثائق. إن العودة إلى مصادر عدم المساواة في طب الأسنان ستقودنا من أطباء الأسنان الصائغين في العصر الحجري الحديث إلى ساحبات الأسنان في المراكز المنخفضة التكلفة، إلى مخترعي أطقم الأسنان الخزفية، ثم إلى صناع الابتسامة الهوليودية. في هذا السياق سيتم الكشف عن أشكال العنف الاجتماعي التي تكون أسناننا هدفًا لها، في صوره الأكثر وحشية إلى الأكثر خداعاً، كما تعتبر الأسنان أيضًا بعض وسائل الدفاع عن النفس في مواجهة قسوة العالم.

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

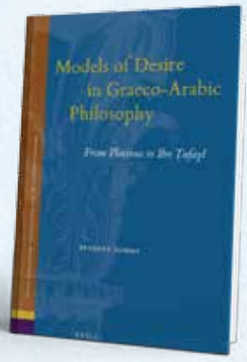

الكتاب: أنماط الرغبة في الفلسفة اليونانية العربية (من أفلوطين إلى ابن طفيل)

اسم المؤلفة: بنتامي سوما

دار النشر: بريل

سنة النشر: 2021

هذه باحثة ألمانية شابة أشرف على رسالتها الفيلسوف الجامعي الأمريكي بيتر أدامسون المتخصص في الفلسفة القديمة والوسيطة، وذلك في إطار مبحث الحيوان في الفلسفة الإسلامية. ومن سوء حظنا العاثر أن تجديد البحث في الفلسفة الإسلامية، من حيث المواضيع الطريفة غير المستطرقة، بات يحدث اليوم بعيدا عن أنظارنا في جامعات غربية وفي إطار مشاريع بحث ضخمة. فها هو حقل الدراسات في الفلسفة العربية الإسلامية يتغير من الاهتمامات الكلاسيكية (الحكمة والشريعة، نظرية الفيض، الميتافيزيقا والوحي ...) إلى اهتمامات مستجدة (الصداقة، الغربة، المحبة، الحزن، الفرح، الطرب، العشق ...). ويأتي هذا الكتاب في هذا السياق بالذات؛ إذ تدرس الباحثة موضوع «الرغبة» أو «الشهوة» في ثنائيتها ـ الجسدية منها والروحية ـ كما تم تطوير تصورها في فلسفة القدامة المتأخرة (المدارس اليونانية الرومانية) وفي فلسفة الحقبة الوسيطة الإسلامية (الفارابي، ابن سينا، ابن باجة، ابن طفيل) استلهاماً لتحليل أرسطو الملتبس لموضوع الرغبة.

الكتاب: عالم لم يجعل من أجلنا (موضوعات في فلسفة البيئة النقدية)

اسم المؤلف: كيث بيترسون

دار النشر: سلسلة ساني/ مطابع جامعة نيويورك

سنة النشر: 2020

يتقاسم اهتمامات الفيلسوف الأمريكي الشاب كيث بيترسون حقلان: الفلسفة البيئية والفلسفة القارية بدءا من كانط وإلى اليوم. وهو يخصص هذا الكتاب للحقل الأول. ويتناول فيه الفلسفة البيئية من خلال ثلاثة موضوعات كلاسيكية: قيمة الطبيعة في ذاتها بصرف النظر عن الإنسان الذي يحيا فيها، والحاجة إلى رؤية للعالم بيئية، وتصور مستحدث لمكانة النوع البشري في الطبيعة. ويرى أن من شأن فلسفة بيئة أصيلة أن تتبنى تصورا بيئيا ماديا للإنسان، وأن تقول بنظرية تعددية في القيمة تشدد على الحاجة إلى إعطاء الأولوية للقيمة، وأن تتمذهب بأنطولوجيا تراتبية تؤكد على المبدأ الأساس المتمثل في تعلق الإنسان بطبيعة غير إنسانية بينما الطبيعة لا ترتهن بالإنسان. ويدمج في هذا الكتاب بين الأخلاقيات البيئية والنزعة البيئية السياسية، ليخلص على تأكيد أن العالم ما كان مجعولا قصرا علينا معشر البشر، وأن التصديق بهذا الأمر شرط بقاء الجماعات البشرية وغير البشرية في المستقبل ودوامها في إطار من التحرر والتضامن.

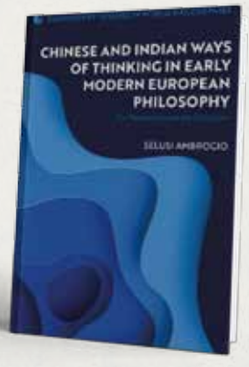

الكتاب: طرق التفكير الصينية والهندية في الفلسفة الأوروبية الحديثة المبكرة (التلقي والإقصاء)

المؤلف: سلوزي أمبروزيو

دار النشر: بلومسبوري أكاديميك

سنة النشر: 2020

يهتم هذا الفيلسوف الإيطالي الشاب بالتفاعل بين الثقافات الكونية، ولا سيما بتاريخ تلقي الفكر الفلسفي الصيني والهندي في الفكر الأوربي الحديث. وفي هذا السياق يندرج كتابه الأخير الذي يحاول فيه الإجابة عن السؤال التالي: لماذا تم إقصاء طريقتي التفكير الصينية والهندية من الفكر الفلسفي الحديث المبكر؟ ويدور الكتاب على الفهم الأوربي للصين والهند بين بواكر القرن السابع عشر وأواخر القرن الثامن عشر، بدءا من أول كتاب سعى إلى إدماج الفكر الصيني والهندي في تاريخ الفلسفة (كتاب الطبيب وعالم اللاهوت والفيلسوف الهولندي أوطو فان هورن: «الفلسفة البربرية القديمة» 1600)، إلى قرن بعد ذلك مع مؤرخ الفلسفة الألماني يعقوب بروكر وكتابه «الفلسفة العجائبية» الذي رفض فيه رفضا باتا طريقتي التفكير الصينية والهندية، فإلى ما بعده حيث تم إقصاء الطريقتين بالتمام والكمال من تواريخ الفلسفة، وتجاهلهما وتسفيههما من لدن مدرستي كانط وهيجل. وفي كل هذا يكشف المؤلف عن أصول النزعة الأوربية المركزية وتبنيها عقيدة أن لا فلسفة خارج اليونان وأوربا. وبتنبيهه على ضيق عطن مؤرخي الفلسفة الغربيين ونزوعهم إلى إقصاء طرق التفكير غير الأوروبية يكشف المؤلف كيف أن الأمر كان ثمرة مُرَّة للجهل وللأحكام الاعتباطية المسبقة.

تصفّح مجلة التفاهم من العدد (١) إلى العدد (٧٠)

عبر الرابط الإلكتروني التالي:

https://tafahom.mara.gov.om/

ملحق العدد ٧٠
من التسامح إلى التفاهم
كشافات المجلة ١ - ٧٠

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف : 24644031 - 24644032 968+ , فاكس : 24605799 968+
البريد الإلكتروني : www.altafahom.net – al.tafahoom@gmail.com – tasamoh@gmail.com